السبت 19 تشرين الأول 2019
العدد 3885 السنة الرابعة عشرة
Samedi 19 Octobre 2019 no 3885 14ème année

32 صفحة
1000 ليرة

# الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

## كلمات

جاك دريدا
**إنبعث في أميركا**

(هيثم الموسوي)

**استثنائياً، تصدر «الأخبار» غداً الأحد**

على الغلاف

# السلطة إلى القمع المفرط... بعد المسّ بمصرف!

هل يكون زجاج واجهتَي مصرفين في وسط بيروت أمس كـ«بلاطة» حائط فندق «لوغراي» في المنطقة عينها عام 2015؟ حينذاك، كان سقوط «البلاطة» الشرارة التي أطفأت التحرّكات التي انطلقت إثر أزمة النفايات. الأجهزة الأمنية التي تعاملت مع المتظاهرين أول من أمس بمستوى منخفض نسبياً من القمع، لجأت أمس إلى العنف المفرط، في مواجهة من تسبّبهم «المشاغبين» الذين كسروا زجاج واجهتَي مصرفين، ما أتاح بإمكان اللجوء الى القمع في وجه التحركات! قبل ذلك، كانت القوى المكوّنة للحكومة تتقاذف مسؤولية الأزمة التي فجّرت الغضب الشعبي، بصورة كرّرت فيها ما تُجيده: المزيد من الكذب

(هيثم الموسوي)

لم تعُد البلاد مُستعصية على الثورات. انتفاضة شعبية يشهدها لبنان من أقصاه إلى أقصاه، فجّرتها الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة، بفعل تمادي السلطة في سياسة التجويع وفرض إجراءات ضريبية، لا هدف لها سوى تركيز الثروة في يد القلة من اللبنانيين. للمرة الأولى منذ التسعينيات، لم يعُد الشارع فسيفساء من الانتماءات الطائفية المُتناحرة. خرج منذ يومين بهوية وطنية جامعة لا ولاء فيها للطوائف، ليقول للطبقة الحاكمة «كفى»، ولا يزال مستمراً في تحركه، فاتحاً الباب على مصراعيه أمام الأحزاب والتيارات السياسية التي أثبتت يومَ أمس أنها تُغرق في حالة من الإنكار التام. فأمام زخم الغضب الشعبي والغليان الذي قُطع معه عدد كبير من الطرق التي تربط المناطق في مختلف المحافظات، واصل المسؤولون تقاذف مسؤولية الفشل والإخفاق والوعود الكاذبة، كما لو أنهم أمام أزمة سياسية عادية كتلك التي تُحلّ على طريقة «تبويس اللحى». ولبلاّ، لجأت السلطة إلى العنف المفرط، الثروة في يد القلة من اللبنانيين. لتفريق المتظاهرين، بذريعة ملاحقة «المشاغبين الذين اعتدوا على الأملاك الخاصة والعامة». صدف أن استخدام قدر كبير من العنف، من قبل الجيش وقوى الأمن الداخلي، بدأ بعد تكسير واجهتي مصرفين في وسط بيروت.

وحتى يوم أمس، لم يكُن أهل السلطة قد استوعبوا بعد أن القصة ليست قصّة رغيف ولا زيادة أسعار المحروقات والدخان وأزمة دولار، ولا حتى فرض رسوم على تطبيق «واتساب»، بل قصة كيل طفح بمكيال الكذب والإفقار والظلم وحجم البطالة والركود الاقتصادي ونظام المُحاصصة. إذ حاولت أغلبية القوى المشاركة في الحكومة ركوب موجة التحركات الشعبية، وخلق شارع مقابل شارع عبر تبادل الاتهامات، لكنها فشلت في ذلك. الكل بدأ يتحدث كما لو أنه في موقع المعارضة ولا علاقة له بكل الإجراءات التي اتُّخذت في المرحلة السابقة.

هذه اللعبة بدأها النائب السابق وليد جنبلاط من خلال تحريك شارعه للتصويب على «العهد» في محاولة لتمييز نفسه. ولحق به رئيس القوات اللبنانية سمير جعجع الذي جاءت مواقفه وجنبلاط مشجّعة لاستقالة رئيس الحكومة سعد الحريري ورمي كرة النار بين يدي رئيس الجمهورية والتيار الوطني الحر وحزب الله. الأمر الذي دفع برؤساء الحكومات السابقين للتضامن مع الحريري ورفضهم الاستفراد به، فيما كان لافتاً وواضحاً ارتباك كل من حركة أمل وصمت حزب الله. أما التيار الوطني الحرّ فقد حاول رئيسه الوزير جبران باسيل الاستثمار في غضب الناس لصالحه. الأخير خرج بعدّ لقاء مع رئيس الجمهورية ميشال عون وعدد من وزراء التيار ليخاطب الناس. وقف على منبر قصر الرئاسة في بعبدا، ليلقي كلمة موجهة إلى اللبنانيين، كما لو أنه متحدث باسم الرئاسة. قال بأنه «يتفهّم» غضب الشارع، معتبراً أن «ما يحصل هو لصالحنا وليس ضدنا»، مكرراً معزوفة الإصلاحات التي يريد العهد تطبيقها، لكنّ أطرافاً أخرى تمنعه من ذلك. علماً أن هذه الإصلاحات التي يتحدّث عنها باسيل وغيره دفع ممّن هم في الحكومة، من المستقبل الى القوات الى الاشتراكي ليست ذات منفعة، بل هي إجراءات ستزيد من حجم المشكلة وتأخذ البلاد نحو الانهيار.

وراح باسيل يرمي الوعود كعادته من نوع تأمين الكهرباء، قائلاً إنه ضدّ الضرائب، مع أنه هو نفسه الذي شارك في اقتراحها وفي إقرارها.

وفيما كان الرصد طوال يوم أمس لإطلالة الحريري، طُرح سؤال حول إمكانية إسقاط حكومة الأخير في الشارع، استناداً إلى المشهد الرهان الذي أعاد لبنان إلى ما سبق واختبره في أيار عام 1992، حين أدّت التظاهرات إلى إسقاط حكومة الرئيس الراحل عمر كرامي. غير أن الرئيس الحريري لعب الدور نفسه الذي سبقه إليه كل من باسيل وجعجع وجنبلاط، محاولاً إظهار نفسه بمظهر الضحية. رئيس الحكومة، رأس السلطة التنفيذية، حاول تبرئة نفسه، بتحميل شركائه فيها مسؤولية الانقلاب على الإصلاحات والاتفاق، معطياً مهلة 72 ساعة وإلا «سيكون هناك كلام آخر».

> **الحريري يبتزّ شركاءه الحكوميين: إما شروط «سيدر»... أو ارحل**

أراد الحريري ابتزاز شركائه في الحكم، عبر القول: إما أن تنفّذوا شروط مؤتمر «سيدر»، أو أستقيل. يبدو رئيس الحكومة غير مدرك لكون الناس نزلوا إلى الشارع، مع هذا القدر الهائل من الغضب، بسبب نتائج سياسات «سيدر وأخواته».

وفيما كان جنبلاط وجعجع ينتظران من الحريري استقالة فورية، خاب ظنهما. ردّ الأول على رئيس الحكومة بالقول «إننا لا نستطيع الاستمرار في الحكم والحكم ليس في يدنا، ونعيش 7 آيار اقتصادياً ونحن أردنا المشاركة ولكن غير مرغوب فينا من بعض الناس»، معلناً بأنه سينتقل إلى موقع المعارضة «الهادئة والموضوعية». أما رئيس القوات فقال: «لا نجد أنفسنا في هذه الحكومة والاتصالات مستمرّة مع المستقبل والاشتراكي من أجل تنسيق الموقف، الرئيس الحريري يريد أن يستمهل قليلاً ولا مشكلة في الأمر، إلا أن المغزى أننا لا نرى فائدة من هذه الحكومة». وفي اتصال مع قناة «العربية» اعتبر أن «ما يحصل هو ثورة شعبية حقيقية»، معتبراً أن «حزب الله متخوف جداً وقسم من قاعدته خرج عليه»، محملاً إياه مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في البلاد. بينما تقصّد وزير الخارجية بعد كلام رئيس الحكومة تسريب معلومات عبرّ مصادره تقول بأنه «أجرى اتصالاً بالحريري وأكد له بأن لا حاجة للانتظار 72 ساعة فلنبدأ فوراً بالحلول».

وعلى إثر الأحداث المتصاعدة، كانت التركيبة السياسية قد بدأت تنفجر من الداخل، قبل أن تظهر بوادر تدخّل من قبلها ليلَ أمس انعكست أعمال شغب ومواجهات مع القوى الأمنية أدت إلى تراجع أعداد المتظاهرين في عدد من المناطق، لا سيما في الساحة المركزية في رياض الصلح. وباتت هناك خشية من أن يكون مصير التحرك الحالي شبيهاً بمصير سابقه الذي اندلع عام 2015، والذي أطلق شرارته ملف النفايات، بعد أن حركت السلطة جماهيرها في مواجهته. فيما ينتظر الجميع الكلمة التي يلقيها الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في ختام «مسيرة الأربعين» اليوم، ليتّحدث عن مجمل التطورات السياسية، وبصورة خاصة الأوضاع الداخلية في لبنان.

(الأخبار)

## وقاحة جنبلاط وحاجات جعجع... النفسية

**فراس الشوفي**

لا شيء يُضاهي وقاحة النائب السابق وليد جنبلاط. كاد أمس، وهو يحاول سرقة الشارع من اللبنانيين، أن يخطف روح جان فالجان من رائعة فيكتور هوغو، «البؤساء». أو، أن يذكّرنا بشخصية البيك في مسرحية «غربة»، لمحمد الماغوط ودريد لحّام، حين يُخبِّر إقطاعي الضيعة أستاذ المدرسة، عن اعتناقه الاشتراكية وفهمه لها، بأنها الاشتراك في كل شيء: «عزيمة، جوازة، جنازة، مؤامرة... كلّه كله يشترك فيه».

هذه المرّة، اختار البيك الحقيقي الاشتراك في التظاهر. وهو قبل أيام، استبق القوى السياسيّة كلها بالنزول إلى الشارع، مستشعراً وقوف اللبنانيين على حافة الانفجار. لكنّه، لم يستحِ أمس، عندما كلّف الوزير أكرم شهيّب بقيادة التحرّكات الاشتراكية في الجبل، على أنها تحرّكات شعبية. يشبه جنبلاط، وهو يدعو للتظاهر ضد الفساد والسلطة، صورة كاريكاتورية عن نفسه. يظنّ أنه إن أكَلَ أكْلَ الفقراء، مع سفير أجنبي، صار مثلَهم، معدماً، لا يحمل إلا همّ الدفاع لعائلته في الشتاء الذي اقترب، في الجبل الذي يئنّ. يظن ذلك ولو شرب النبيذ الفاخر الذي يكاد سعر الزجاجة منه يتجاوز الحد الأدنى للأجور. لكنّ الواقع ليس كذلك. جنبلاط بيك، وشريك بارز في امتصاص خير لبنان، لكنّه الآن يلعب لعبته الأخيرة: يقزّم هزيمته مع من راهن عليهم في الإقليم إلى محاولة السيطرة على كانتون في الجبل رسمه في مخيّلته، وفي تغريدته أمس عن «مناطقنا». لكنّه فوجئ عندما انفجر أمس بوجه مسؤوليه في المناطق، مزاح درزي كفر بنظريّة «البيك يعرف ماذا يفعل»، وبات مقتنعاً بأنه جزء لا يتجزّأ من منظومة سفك الدولة والموارد والماضي... والمستقبل.

أمّا رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع، فوقعُ أيضاً، لكنّ مرتبك حد الضياع. يريد أن يحرك الشارع ضد العهد، ويخاف من تحريك العونيين شارعاً مضاداً. يريد أن يستقيل وزراؤه من الحكومة، لكنه يخاف أن لا يأبه للأمر لا الرئيس سعد الحريري ولا الوزير جبران باسيل، وربّما، يخاف أن يستقيل وحده ويتركه جنبلاط في منتصف الطريق. هل فهم أحد ما هو موقف جعجع أمس؟ أو ماذا يريد؟ حتى مسألة حثّ الحريري على الاستقالة، تبدو حاجة نفسية لرئيس القوات أكثر منها حاجة سياسية.

مع جعجع، يكاد الفارق بين السياسي والميليشياوي أن يندثر. عندما تنتهي «القضية»، وتدنو الخسارة الاستراتيجية، كما يحصل مع القوات، يحاول السياسي، التقليدي، الحدّ منها. أما الميليشياوي، التقليدي أيضاً، فينتظر الهزيمة، كاملة، بعد أن يحرق كل بيادقه، وهو يفتّش عن قضية ولو مستعملة.

(مروان طحطح)

ابراهيم الأمين

## فرصة حقيقيّة للتغيير

ليس أبشع وأقسى من أداء أهل السلطة عندنا، سوى تخلّيهم عن مسؤوليتهم في مواجهة الناس. وكان الأمل بردّة فعل عاقلة، مجرّد وهم زال في لحظات المساء.

فليس بين أهل الحكم عندنا من يفكر في تغيير جدّي على أثر الهبّة الشعبية الكبيرة. وأكثر من ذلك، فإن العجز الذي يشلّ عقل وقلب أركان السلطة، استمر مانعاً لقيام هؤلاء بالتقدّم خطوة صوب الشارع الغاضب. وكل ما حصل منذ صباح أمس حتى آخر ليله، عكَس العقلية ذاتها، إذ يرفض أحد منهم تحمّل المسؤولية والاستعداد للمحاسبة. بل قام هؤلاء، كلٌّ من جانبه، برمي المسؤولية على غيره، مع وقاحة غير مسبوقة، بإعلان تفهّم وجع ثم التهديد بالنزول معنا إلى الشارع.

المسؤولون قالوا لنا بالأمس، أن اذهبوا وبلّطوا البحر. ارفعوا من سقف اعتراضكم إلى أعلى ما تقدرون، وواصلوا احتجاجكم إلى حيث ترغبون، وزيدوا من تشهيركم وشتائمكم إلى حيث تقدرون... لكن لن تحصلوا منا على إقرار بالعجز والفشل. ولن نمنحكم فرصة محاسبتنا أو محاكمتنا أو معاقبتنا على ما قمنا به.

ليس هذا فقط، بل يتصرف أهل الحكم بثقة كبيرة، على أن من نزل إلى الشارع هم أقلية موجوعة، لكنّ هناك خصوماً يتولّون تحريكهم لغايات سياسية.

وعندما يفكر الحاكم بهذه الطريقة، فهذا يعني أن علاج الأزمة عنده يتراوح، بين تكليف القوى الأمنية احتواء التحرك بعقلية أمنية، وبين تهديد الناس بالفوضى الشاملة إن هم أصرّوا على التغيير. ويستند قادة السلطة إلى أن لديهم قواعدهم القائمة على عصبيّات مذهبية وطائفية، وهي جاهزة للانقضاض على «المشاغبين» الذين خرجوا إلى الشوارع. وفوق كل ذلك، يهمس بعض حواريي الحاكمين، بأنه ما «إن يتوقف الصراخ حتى نحاسب كل من تعرّض لنا ولعائلاتنا ومنازلنا وكراماتنا»!

> **بحثاً عن شخص يشبه سليم الحص في كونه يعرف اهمية الدولة وليس مرتهناً لقرار خارجي**

لكن الحريق إن توسّع، فسيكون أكثر شدّةً وحدّةً من حرائق الطبيعة قبل أيام. سوف لن يحتويه أحد. وسوف لن ينجو منه فريق أو طرف أو جمهور. وإذا كان بعضهم يتصرف أنه بمنأى عمّا يجري، فهو واهم. ليس لأن كل من دخل السلطة مسؤول، وإن بنسب متفاوتة عن الأزمة، بل لأن العاجز عن الإصلاح والتغيير، لا يجب أن يبقى شاهد زور، أو صامتاً عن سياسات يعرف الجميع أنها تقود إلى انهيار البلاد وانفجار الوضع. وعندما تحلّ الفوضى، لن يبقى شيء على حاله في المشهد الذي نعرفه اليوم. الاقتصاد المهترئ سيسقط بضربة واحدة، وترافقه كل أنواع الانهيارات المالية والاجتماعية، وعندها لن ينفع لا تدبير أمني زجري، ولا حتى انقلاب عسكري ممنوع في بلد مثل لبنان. كما لن تنفع كل أنواع المناجاة، أو حتى تذكير الناس ببشاعة الحرب الأهلية الساخنة منها أو الباردة. وستكون الهجرة حيلة القادرين على الهرب، بينما لا يبقى للمقيمين، سوى شريعة الغاب لإدارة ما بقي من شؤونهم. وحروب الفوضى المتنقّلة، لها طَعم خاص في لبنان. طعم متنوع طائفياً ومذهبياً ومناطقياً وطبقياً. وإذا كان الفقراء هم عادة وقود الحروب الأهلية، فإن أول نخب سيرتفع من المتقاتلين، سيحصل في مكان تجتمع فيه جثث عليّة القوم الذين يصرون على سياساتهم الكارثية، إزاء كل أمور الحياة. فلا سلطةَ عاقلة ومتوازنة تقوم لتحمي الناس وحقوقهم، ولا قطاعَ خاصاً يتوقف عن النهب لساعات. ولا سماسرة الدين والطوائف والأمن يقبلون بيوم عطلة.

الوضع القائم في البلاد اليوم، لا يحتاج إلى توصيف أو تعليل أو شرح. بل يحتاج إلى قول واضح وصريح، بأننا أمام فرصة حقيقية، ونوعية لإطلاق مسار تغييري جدي في هذه البلاد. يهدف إلى جرف كل من تحكّم بنا باسم الطائفة والمذهب ومصالح الجماعة. ويهدف إلى قطع لسان كل من يريد العودة بنا إلى زمن مخاوف الأقليات واستبداد الأكثريات. لكن هذه الفرصة، لا تستقيم بالاحتجاج فقط.

اليوم، لا يحتاج عالم اجتماع، أو سياسي محترف، إلى أدلّة كثيرة على حجم الغضب الذي يسكن قلوب المتظاهرين وعقولهم. وإذا كان أداء السلطة في مواجهة حرائق الطبيعة قبل أيام، ثم الضريبة على تطبيقات الهواتف الذكية، شكّلا شرارة لحريق لا يزال في بدايته، فإن الكامن والمتراكم أكبر بكثير، ويمتد إلى ربع قرن فات، يوم قيل لنا إن الحرب الأهلية توقّفت ودخلنا حرب الإعمار.

لكن من يتحكّم به الغضب في الشارع اليوم، يحتاج إلى مساعدة غاضبين يملكون القدرة على التفكير بهدوء. لأن الحاجة ملحّة الآن إلى خطة تحرّك. ليس بهدف تنظيم الاحتجاج، والركون إلى سخافات الداعين إلى وقف أعمال الشغب، التي تبقى عنصراً رئيسياً في أي تحرك شعبي، وفي أي مكان في العالم. وإلى خطة عمل، لا تُلزم الغاضبين بانضباط على طريقة عمل الأحزاب. بل تضع تحركهم في سياق يُتيح رفع سقف المواجهة بطريقة تقود إلى نتائج مباشرة.

سواء كان الهدف هو نسف النظام، أم تغيير السلطة وتحقيق إصلاحات جذرية. وحاجة الجمهور إلى هذه الخطة، له هدف مستعجل أيضاً، يتعلّق بمنع الطفيليين، من القوى والسياسيين والناشطين وغيرهم من أطراف إقليمية، يسعون منذ اللحظة الأولى لاندلاع الاحتجاجات، إلى استغلال الغضب لأجل تحقيق أهداف تندرج في سياق صراعات سياسية محلية وخارجية. وهو خطر جدّي، ويصبح أساسياً بمجرد أن يخرج وليد جنبلاط وسمير جعجع وبقايا 14 أزلام السعودية وأميركا، ويرفعوا شعارات الناس، وكأنهم خارج المسؤولية والمحاسبة.

قد يكون من المبكر الحديث عن قيادة لهذا الحراك، تضمن له استمراره وتمنع قمعه. لكن المشكلة التي تواجه المعترضين على سياسة الدولة، ترتبط بمكانة القوى والزعامات والقيادات المتطوّعة لهذا الفعل. وربما هذا ما يستدعي الاستفادة من دروس ما يجري حولنا. وأن ندرس تجربة تونس، بحثاً عن قيس سعيّد لبناني. بحثاً عن شخص، يشبه سليم الحص، في كونه يعرف أهمية الدولة، وليس مرتهناً لقرار خارجي، وله صوته المانع لحضور أباطرة الحروب والفساد...

(هيثم الموسوي)

(مروان بوحيدر)

(مروان طحطح)

(هيثم الموسوي)

(علي حشيشو)

(هيثم الموسوي)

(مروان بوحيدر)

(هيثم الموسوي)

(مروان بوحيدر)

(هيثم الموسوي)

على الغلاف

# بيروت «تحت» صفيح ساخن

نزل الجيش إثر تعرّض المتظاهرين لواجهات بعض المصارف بالتكسير في وسط بيروت (هيثم الموسوي)

محمد نزال

يحمل بيده قضيباً معدنيّاً، يضرب به لوحاً معدنيّاً، خالعاً قميصه بالنار من حوله. يضرب الحديد بالحديد لأكثر من ساعة، ثم ماذا؟ يتوقّف الضرب؟ بدا ذاك المتظاهر، قبيل فجر أمس، كمن يُمارس رقصة طقسيّة ما، لقبيلة ما، مستحضراً بـ«الفودو» أرواحاً ما. الدخان الأسود لونَ وجه، والخدوش بادية في صدره، منفعل بـ«يزربّ» بنه الحديد لأكثر من ساعة، إلا اللهم بعد ألف دراسة «إنثروبولوجيّة»... إن أمكن أصلاً. هذا ينام نهاراً ويستيقظ ليلاً، يُريده من الحكومة. أيّ جواب يتوقّع منه؟ هذا ليس متظاهراً عاديّاً، هذا مقتول منذ ولادته، وربّما قبل ذلك، هذا «مُنتَج اجتماعي» يصعب على أبناء البيوت» فهمه، تفكيكه، تقبّل وجوده أساساً، إلا اللهم بعد ألف دراسة «إنثروبولوجيّة»... إن أمكن أصلاً. هذا ينام نهاراً ويستيقظ ليلاً، يأتيه مراسل تلفزيوني يسأله عمّا قبل انطلاق التظاهرات الأخيرة ضدّ الضرائب، وزواد وسط بيروت نهاراً على الأرجح أنهم لم يقابلوه عن قرب. هذا، فضلاً عن العمل، عاطل من أشياء كثيرة أخرى. هذا ليس حالة فرديّة، تظهر فجأة في التظاهرات، بل حالة باتت مألوفة، وهي في ازدياد مستمر. التظاهر عنده ليس بالضرورة لغاية، بل يُمكن أن يكون هو الغاية نفسها، مجرّد الانفلات من كلّ قيد، الانطلاق، الانفجار... ويحصل أن ينفجر هذا، أحياناً، بمَن «صنعه». ظهر صاحبنا ليل فرديّة، تظهر فجأة في التظاهرات، ليلة أمس، قُطعت طرقات بيروت كلّها. تماماً كلّها. اقتصر الأمر في الليلة السابقة على بعض الطرقات الرئيسيّة. سماء العاصمة، أمس، كانت قاتمة منذ الصباح لكثرة ما استقبلت سواد المطّاط المُشتعِل. خطّ «فان 4» تعطّل نسبياً بداية النهار، لكنّه، ومع اقتراب المساء، اختفى كلّياً.

> بدأت النفايات تتكدّس في شوارع بيروت في ظلّ قطع الطرقات الرئيسيّة والفرعيّة

المتظاهرون ظفروا بـ«فان» يعمل، احتجزوه عند تقاطع بشارة الخوري، قبل أن يطلبوا من الركاب النزول منه. دوّن أحدهم رقم لوحة تسجيله، متوعّداً صاحبه بالمحاسبة لاحقاً، لأنّه خالف قرار «جماعة الفانات» بالتعطيل والإضراب. كاد أن يُضرَب، لولا شفاعة فتاة له، كانت بين الركّاب. حلّ المساء. عاد بعض «المهذّبين» إلى منازلهم، وجاءت نوبة «العصاة» الآن. هاجموا واجهة بنك الموارد، ظنّ البعض أنّ اللحظة التاريخيّة بدأت، ذلك مع تحطيم لواجهة بنك آخر، ودخول مبنى مكتوب على جدرانه اسم شركة الاتصالات «MTC». سقطت ذلك جولات كرّ وفرّ بين القوى الأمنيّة والمتظاهرين، قنابل مسيّلة للدموع، ألعاب ناريّة مدويّة، إلى أن حضر الجيش. في الليلة السابقة، لم يتدخّل الجيش. قبل ذلك، وإثر بداية التعرّض لمباني بعض البنوك، توقّع بعض المتظاهرين أنّ السُّلطة، الآن، سوف تبطش بقوة. وفعلاً، هذا ما حصل. نزل الجيش بين المتظاهرين. وسط بيروت ساحة حرب إنّما بلا رصاص. عشرات الموقوفين، عشرات المضروبين، ركض في كلّ اتجاه، قسوة لافتة من العسكر. وما العسكر؟ «آلات قسوة» لا تنال راتبها الشهري إلا لأنّها كذلك. أمس، في ليلة هي الثانية على بداية الاحتجاج الواسع، رأيناه هو نفسه، ومعه مجموعة من رفاق «الحالة».

بكونها كسرت «تابوهات» ما كان أحد يتوقّع أن تُكسَر. التعرّض لقامات سياسيّة، لها هالة قداسة عند أهلها، أصبح مألوفاً أمس على السن الناس. هذا ليس عابراً. عادة، وعلى مدى التاريخ، لم تكن تحصل التحوّلات، خاصّة المتضمّنة لتهشيم هالات كبرى، من غير عنف وعويل ودم. هذا ما يجب أن يُحسَب حسابه. هذه سُنّة تاريخيّة.

الناس في الشارع، المتظاهرون، ما عادوا يطيقون أن يتضامن معهم «المشاهير». كلّ مسؤول سياسي، ولو من خارج الحكومة، انضم إليهم ليتضامن معهم نال نصيبه من الشتم والطرد. شيء ما نضج في الشارع هنا. شيء من القرف فاض على شكل: «طلّعوا من راسنا بقى». الشارع يبدو أنه ما عاد يطيق مجاملة أحد. النفور شامل. كلّ «المساطر» جُرّبت. حتى بعض الإعلاميين، من المتمسحين بأعتاب السُّلطان والآكلين على مائدته، يُخبرهم الشارع اليوم أنّه لا يطيقهم أيضاً. شيء ما في الشارع نضج ضدّ هذا النوع من النفاق. ليس علينا أن نتفاءل كثيراً، لكن، وهذا المؤكّد، هناك تحول ما هنا حصل، ويحصل.

النفايات بدأت تتكدّس في شوارع بيروت. هناك كومة ضخمة من النفايات في منطقة البسطة، مثلاً، هي نتاج عدم جمعها لمدة يومين. ستزداد تلك الكومة، وغيرها كذلك في مناطق أخرى، إن استمر إقفال طرقات العاصمة. ما عاد ممكناً التنقل لمسافات بعيدة إلا بواسطة الدراجات النارية. أن تملك سيارة اليوم فأنت لا تملك وسيلة نقل، هكذا ببساطة. نرصد «أبو حطب» يركب حصاناً. هو أحد المتظاهرين، تلقائيّاً يعني، وإن فضّل عدم الذهاب إلى وسط البلد. مشهد فنّي أن تراه فوق حصانه يمرّ بين الحاويات المشتعلة، في القرن الحادي والعشرين. يمرّ قربه عدد من عناصر قوى الأمن، ليسوا من ضمن مجموعة مكافحة الشغب، وخارج منطقة المواجهات التقليديّة، ومع ذلك لا يحتاج فتى مراهق إلى جرأة كبيرة حتى يسخر منهم بأعلى صوته. راح «يُفرّق» عليهم بلا توقف. لم يرفع أحد منهم رأسه. أكملوا سيرهم. هذه لحظة كسر المحرّمات. كلّ هذا يكون في نفوس الناس، منذ أمد بعيد، فتأتي اللحظة ويكون كلّ هذا المشهد. ماذا عن الأمل؟ مَن يعلم؟ الله أعلم.

> بداية سقوط «أسطورتين»: سلامة والليرة المُستقرة

لم يدم الاعتصام أمام المصرف أكثر من ساعة، لكن المعتصمين لم يتوقفوا خلال تلك المدة القصيرة عن ترداد شعار «يسقط حكم المصرف»، وهو «تطور نوعي يُبنى عليه فيما بعد لتبيان الصورة الحقيقية لسلامة وللمصارف الذين أشبعونا بطولات مغلوطة بشأن قدسية الليرة»، تقول إحدى منسّقات الاعتصام، مُضيفة: «بكفي أن هؤلاء المحتشدين مضوا إلى رياض الصلح (حيث الاحتجاجات المركزية) وهم يعرفون أن المصارف ليست سوى جزء من الدولة التي يريدون إسقاطها».

عند فضّ الاعتصام، عادت الناشطة العشرينية ورسمت عبارة «تسقط سلامة الليرة» على الرصيف المحاذي لمبنى المصرف، قبل أن تغادر ويغادر المعتصمون، وتبقى تلك العبارة، منبئةً ببداية سقوط «أسطورتين»: سلامة والليرة المُستقرة.

## أمام مصرف لبنان: حرامي حرامي... رياض سلامة حرامي

(عروات طحطح)

هديل فرفور

«يسقط كهنة المعبد»، تقول العبارة التي رسمتها إحدى الناشطات على الطريق المؤدي إلى المصرف المركزي في بيروت. خطّتها الفتاة العشرينية قُبيل موعد الاعتصام الذي دعا إليه عدد من الناشطين أمام مبنى المصرف، عند الساعة الرابعة من عصر أمس، احتجاجاً على سياسته وعلى إدارة حاكمه رياض سلامة.

عند الدقائق الأولى من الاعتصام، لم يكن عدد المتجمهرين يتجاوز العشرين ناشطاً، ممن يؤمنون بضرورة توجيه بوصلة الغضب نحو مكمن الخلل الأساسي: سياسة المصرف التي ساهمت في تراكم ثروات كبار المودعين على حساب الطبقات الوسطى والفقيرة. لكنّ ذلك التجمّع المتواضع سرعان ما اجتذب بعض «مواكب» الدراجات النارية التي كانت تجوب شوارع العاصمة والتي كانت تتّجه إلى شارع الحمرا. حطّ أصحاب تلك المواكب أمام المصرف وسمعوا من رفاقهم أسباب تجمّعهم، وسرعان ما وافقوهم. «مزبوط قالوا إنو رياض سلامة بيقبض ألفين دولار ع كل يوم بيسافر فيه»، قال أحد «قادة» الموكب قبل أن يُعطي تعليماته لـ«الشباب»: «رح ننزّل هون يا شباب».

بعدها، توزّع أولئك القلّة بين الأكثرية الغاضبة ومدّوهم بالشعارات «اللازمة»، لتعلو صرخاتهم بـ«يسقط حكم المصرف»، وبـ«حرامي حرامي، رياض سلامة حرامي».

لكنّ قد لا يُدرك جميع من احتشد خلف هذه الشعارات أن الهندسات المالية التي قام بها حاكم مصرف لبنان بحجة تثبيت سعر الصرف، تسبّبت في عام 2016 فقط في تحقيق أرباح للمصارف ولكبار المودعين بلغت قيمتها نحو 4,8 مليارات دولار، لكنّهم يعرفون جيداً أن «استقرار الليرة اللي بيصرعونا فيه طلع من عيونا»، على حدّ تعبير أحدهم، فيما سأل زميله «شو جايبيني إذا الليرة مستقرة وأنا ما عندي لا استقرار وظيفي ولا معيشي؟»، مُضيفاً: «طالما الدولة راضية عليه، يعني هو حرامي أكتر منّن».



## يسقط «بيت المال»... من أين لك هذا؟ شعارات وشتائم: لقد انكسر المحظور

متظاهرو الـ2015 تناقلوا أرقام هواتف المحامين في حال اعتقالهم (مروان بوحيدر)

إيلده الغصين

«إسمي بيروت، me llamo Beirut»، بالعربيّة والإسبانية رفعت لافتتها، تيمّناً بأسماء شخصيّات مسلسل «نتفليكس» الإسباني الشهير «بيت الورق» (La Casa De Papel). المسلسل «الثوري» ضد سلطة المصارف، والقائم على عمليّة سطو دار سكّ العملة، حضر تأثيره «بقوّة» في صفوف المحتجّين في ساحة رياض الصلح. قناع شخصيّات المسلسل (وجه دالي) انتشر بين عدد من المتظاهرين، وزيّهم الأحمر. «المشكلة في المصرف المركزي، وباقي البنوك» يقول أحدهم، فيما يبقى البحث جارياً عن شخصيّة «البروفيسور»، أو القيادة الفعليّة للتحرّك العفوي. تأثير الأفلام والمسلسلات انسحب أيضاً على كاراكتير «الجوكر»، إذ تلوّنت وجوه بعض المحتجّين كوجه «المهرّج»... والسبب «مدينتنا خربانة مثل مدينته» يقول أحدهم.

جاء من حي اللجي، ترك والدته مستغرقة في الكوما التي ألمّت بها قبل أشهر. حمل همّ تأمين علاجها الشهري والأدوية الباهظة، ونزل يطالب بضمان اجتماعي ونظام استشفائي عادل. «لم أنتخب أحداً لأن أولادهم يعيشون في العز ونحن تحت خط الفقر... بدنا دولة»، هذا مطلبه. إلى جانبه، يجلس شاب عشريني مثله، لم يشارك المتظاهرين الحلوى التي وزّعوها في ما بينهم، لأن والده توفّي بمرض السّكري. هذا قدر الفقراء الذين ينتهون بلا علاج أو رعاية... «مات وارتاح» يقولها بقهر، «مطلبي أن نعيش بكرامة».

«الوضع تفاقم إلى حدّ الاستفزاز... أريد عملاً لائقاً»، هذا مطلب الوحيد للارا، ابنة كورنيش المزرعة. «وي وونت شينج» (نريد التغيير) تصرخ بالإنكليزية، وتضيف المتظاهرة الآتية من البقاع «بدنا حقوقنا، الناس المغسول دماغها فلتنتفض معنا». انتظار هذه اللحظة، والحماسة إلى التعبير عن الغضب، هما أبرز ما ميّز الشباب المنضوين في التحرّك.

«صرلي زمان ناطرة هالفرصة لنرجع للشارع» تقول ابنة بيروت. المتظاهرون ممن سبق وشاركوا في تظاهرات 2015، كانوا الأكثر دراية بلعبة الشارع، والمواجهة مع القوى الأمنيّة، والشعارات المستعادة إضافة إلى نقمة واضحة على الوضع الاقتصادي وسلطة المصارف وحاكم مصرف لبنان. «رياض سلامة حرامي»، ذكرت إحدى اللافتات. «المخضرمون» كتبوا على أيدي باقي المتظاهرين أرقام المحامين في حال تمّ اعتقالهم. «الأمور تراكمت، من ارتفاع الدولار إلى أزمة الخبز، وأخيراً دقّوا بالواتساب التطبيق المجّاني... طفح الكيل»، يقول سليم الآتي من المنصورية (المتن).

حرائق بداية الأسبوع، وأزمة الدولة في مواجهتها، حضرتا مع القادمين من الشوف وإقليم الخرّوب. «خلّصنا الحريق، وجينا نحرق هون»، يقول الياس ابن الدبيّة التي طاولتها الحرائق. ابن البلكي نال نصيبه من هراوات القوى الأمنيّة ليل الخميس-الجمعة، وعاد أمس مطالباً بـ«إسقاط الحكومة والعيش متل الخلق». من الدكوانة جاء بعائلته وأطفاله، مثل عائلات عديدة شاركت في الاحتجاج، «بدنا ناكل ونشرب وندفع فواتيرنا مش أكتر».

المغتربون ممن صودف وجودهم في البلد حضروا أيضاً، أحدهم (29 عاماً)، يقول: «أنا من سكّان البربير وأعمل في الكويت، أشارك في التظاهرات علّنا نصلح البلد لنعود للعمل فيه». غضب الشباب عبّروا عنه بما تيسّر من شتائم ردّدوها «ملحّة» تستهدف معظم السياسيين، بلا استثناءات. لقد انكسر المحظور! إحدى المتظاهرات تبوح بالعبء الذي تنوء تحته: «مكسورة على 5 آلاف دولار من قسط الجامعة».

تصاريح السياسيين من بعبدا وبيت الوسط، وصلت إلى المتظاهرين عبر هواتفهم المحمولة، وردّوا عليها بكيل الشتائم. دقيقة صمت وقف المتظاهرون عن روح العاملين اللذين قضيا اختناقاً في حريق أحد الأبنية في وسط البلد أول من أمس. جئت «احتجاجاً على الغلاء والضرائب وكرمال أولادي الأربعة»، تقول سوزان التي نزلت من عرمون رغم قطع الطرقات. من مرجعيون، حضرت مجموعة من الشباب، «لأن ما بدنا نسافر إلى أفريقيا، بدنا يرجع الإسكان». من طريق الجديدة، جاء والد ينتظر ابنه البكر «ما بدي يدفع متلي مئة فاتورة». سجى (26 عاماً) جاءت من الأوزاعي، لأنّها «بلا عمل ثابت». علي (21 عاماً) جاء من صور «انضممت إلى محتجّي العاصمة للمطالبة بأقل حقوقي». ابن البسطة الفوقا يجزم «أنا في دولة حرامية ومن حرّضنا للنزول ليس الواتساب بل من سبقونا إلى الساحة». الأزمات المتتالية كانت محرّضاً بارزاً لابن برج أبي حيدر (20 عاماً)، «ساعة ما في خبز، ساعة ما في بنزين، خلص!».

السرعة حكمت التحرّك فكانت اللافتات معدودة، وأبرزها: «من أين لك هذا؟ لا للسريّة المصرفيّة للمسؤولين»، «ثورة»، «الضرائب تصاعديّة أو لن تكون أبداً، عدالة اجتماعيّة». فرحات جاء من بلدة العين (قضاء الهرمل)، يشير إلى فيديو عبر هاتفه، ويقول بفخر: «شوفوا أهل ضيعتي!». «من حيفا لبيروت» عبارة منقوشة على أقراط شابة فلسطينيّة، من مخيّم البرج الشمالي (صور)، سنحت لها الفرصة هذه المرّة، «من خارج المخيم»، للتعبير عن رفضها «للإجراءات التي تطاول الفلسطينيين وإجازات العمل».

على الغلاف

# غضب جنوبيّ: ثمّة ما انكسر!

**أماك خليك**

بكثافة غير مسبوقة، نزل الغضب الجنوبي من النظام وحكّامه إلى الساحات، متحرراً من ميادين المنصّات الافتراضية على مواقع التواصل الاجتماعي ومن انتقاد الفاسدين في المجالس الخاصة. في النبطية، كانت انتفاضة ليل الخميس مفاجئة. عشرات الشبان حطّموا اللافتات التي تحمل اسمَي نائبيهم محمد رعد وهاني قبيسي وحاولوا

**المتظاهرون يقتحمون استراحة صور: «أملاك الشعب»**

اقتحام منزل نائبهم الثالث ياسين جابر، المحاولة التي صدّها مناصرون لجابر منتصف ليل الخميس، تجدّدت مساء أمس وتخلّلها إطلاق نار في الهواء من عناصر في «أمل» حضروا لحماية المنزل وصدّ الجموع التي تجمهرت أمامه. الغاضبون واجهوا النار برمي الحجارة، ما أدى إلى وقوع ثلاثة جرحى من عناصر الحماية. في المدينة العالقة في أزمة نفايات منذ خمس سنوات، حاول الشبان الغاضبون ليلة أمس، كما الليلة التي سبقتها، اقتحام مبنى السرايا الحكومية، والبلدية المحسوبة على حزب الله وأحد البلديات المحسوب على «أمل». استطاعت تلك المجموعة التشويش على التجمّع السلمي الذي نفّذ أمام السرايا منذ الصباح. تلك الفئة الأكبر من أبناء المدينة وبلدات المنطقة تجمّعت صباحاً وسارت في تظاهرة حاشدة نحو مستديرة كفرمان حيث نُفّذ تجمع احتجاجي آخر، فيما نُفّذ تجمع ثالث عند مدخل النبطية الفوقا.

وبين التجمعات الثلاثة، أُقفلت التقاطعات الرئيسية بالإطارات المشتعلة والردميات. الإقفال طاول محطات عدة على أوتوستراد الزهراني - النبطية وطريق النبطية - مرجعيون وطريق النبطية - أنصار. زخم المشاركة عزّزها التحاق إمام النبطية الشيخ عبد الحسين صادق ليل الخميس بالمتظاهرين أمام حسينية النبطية ومشاركة عدد كبير من الأشخاص المحسوبين على حزب الله وأمل.

صور التي تعدّ العرين الأبرز لـ«أمل» لم تحمل أمانة الحركة أمس. ثمة ما انكسر في العلاقة بين «المحرومين» و«حركتهم». شعارات لاذعة طاولت رموز الحركة والرئيس نبيه بري وعائلته. البعض لم يكتف بالهتاف وإطلاق الشتائم. في خطوة لافتة، اقتحم العشرات استراحة صور التي يظن البعض أن لزوجة بري حصصاً فيها وخطوا على لافتتها «أملاك الشعب». إلا أن قوة من الجيش حضرت سريعاً وصدّت المهاجمين واعتقلت عدداً منهم. لكن بعد ساعة، عاد الشبان واستطاعوا اقتحام القسم الفندقي وأشعلوا النار في بعض محتوياته. وفي الإطار ذاته، قطع شبان الطريق قبالة جامعة فينيسيا المملوكة من رندة بري وأشعلوا النار في اللافتة المؤدية إليها. الغضب ضد «الأخضر» طاول النائبين علي خريس وعناية عز الدين اللذين تجمّع المئات أمام مكتبيهما في المدينة. وكانت صور نفذت قبل ظهر أمس تظاهرة حاشدة قُدّرت بالآلاف جابت شارع المصارف عند الكورنيش البحري. التجمع المركزي في صور رافقته تجمعات محدودة في بلدات القضاء، ارتكزت على قطع الطرقات بالإطارات المشتعلة من قبل عشرات الشبان عند مداخل صور والبرج الشمالي والقليلة وصديقين وصريفا.

منطقة بنت جبيل لم تكن أقل غضباً. التجمع المركزي نُفذ عند مستديرة صف الهوا التي قُطعت المنافذ المؤدية إليها بالإطارات المشتعلة. كما حاول شبّان اقتحام مكتب النائب علي بزي، فيما نفى مكتب النائب حسن فضل الله أن يكون قد تعرض لمحاولة اقتحام. الإطارات تحكّمت بالطرق بين بلدات المنطقة في فرون والغندورية وكفرا. وعند مدخل مارون الرأس، أحرق رجل أثاث منزله احتجاجاً على ضيق أوضاعه المعيشية. وعند مفترق بئر السلاسل، قطع بعض الناشطين الطريق المؤدية نحو تبنين بالحمير دلالة على سلوك الزعماء تجاه الشعب.

في التجمعات الشعبية على أوتوستراد صور الزهراني، ابتكر البعض حلولاً لتبديد الوقت تحت الشمس الحرقة. منهم من لعب الورق في وسط العباسية ومنهم من رقص الدبكة عند السكسكية، ومنهم من لعب كرة القدم عند الصرفند، ومنهم من نفخ عليها بالنراجيل لتنجلي عند البيسارية.

(مروان طحطح)

# إقفال أوتوستراد غزير: تغيير النظام الاقتصادي

**ليا القزي**

لأنّ الطرقات هي مُلكٌ عامّ، «نحنا باقيين بأملاكنا لنحقّق مطالبنا. وإذا قدرت عليكم القوى الأمنية، فنحنا محور الزوق ناطرينكم هونيك». كان ذلك شاباً وصل من زوق مصبح إلى أوتوستراد غزير في كسروان، ليشدّ عزيمة المعتصمين، قبل أن يعود إلى «محوره». الأسود الذي يُغطّي جسده ووجهه، يُخبر قصة شاب لم يترك الشارع منذ يومين، أسوةً بلبنانيين آخرين، لا يريدون للثار أن تخمد. ليس

**البعض نصبَ خيمةً واعداً بعدم إزالتها إلا بعد إسقاط الحكومة**

المقصود فقط نار الإطارات المُشتعلة، والتي قطعت أمس أوتوستراد غزير (أوتوستراد بيروت - طرابلس) عن ذوق مصبح جنوباً والصفرا شمالاً، بل حماستهم وهمّتهم وصرختهم لانتزاع حقّهم من سلطةٍ «عرّتهم». فكلّ الحلول لإنهاء أزمة اقتصادية تسبّب بها أركان الدولة، تدور حول تدفيع المواطنين المزيد من الضرائب وانتزاع مكتسباتهم منهم، مقابل ارتفاع خدمة الدين العام وحماية ثروات الطبقة الحاكمة (بشقيها المالي والسياسي). أمام حالة الاختناق التي فرضت على الناس، هل يبقى ما يستحقّ أن يقيموا من أجله حساباً؟ هي شرارة أرادوا القبض عليها، لتحقيق خرق يطمحون أن يكون عظيماً: «الشعب يريد إسقاط النظام». شعارٌ عامّ ردّده كُثر أمس، من دون تحديد مقصدهم من «النظام». البعض يعتبر أنّ كلمة النظام تعني مجلس الوزراء، فنصبَ خيمةً على الطريق السريع، واعداً بعدم إزالتها إلا بعد إسقاط الحكومة. أما البعض الآخر، كرافل ابن الـ21 سنة، فكلامه موجّه: «وضع خطة تسمح بتحسين أوضاع معيشتنا وتُحقّق مشاريع فعلية». ولكنّ الخطوة الأساسية قبل البدء بذلك، «هي تغيير النظام الاقتصادي، وإقالة كلّ من نهب أموالنا وجوّعنا». في السنوات السابقة، تمكّنت السلطة الحاكمة من حرف أنظار اللبنانيين عن مكمن الخطر الحقيقي، واستفادت من توجيه نقمتهم تجاه قضايا «ثانوية» وأقلّ خطورةً من الضرر الذي يُسبّبه النظام الاقتصادي القائم. لذلك، إنّ إعادة تشكيل وعي الجماهير باتجاه «العدّو» الفعلي لحقوقهم ووجودهم، محطة أساسية في المواجهة الحالية. يتحدّث رافل عن تركّز الأموال «بيد 1% تتحكّم بثروات أكثر من نصف الشعب، وعدم وجود نظام ضريبي عادل»، ليخلص إلى أنّه يجب «محاكمة الفاسدين لنسترد أموال الدولة، قبل أن ينتزعوا ما تبقّى في جيوبنا». وفي جيب أبي الذي يعمل ليل نهار ليؤمّن لي قسط جامعتي، حين سأتخرّج، أين سأجد وظيفة؟ من سيؤمّن لي البنزين والغذاء والدواء؟ لذلك الحلّ ليس بإسقاط الحكومة، بل بتغيير العقلية». لم يسبق لرافل أن شارك في تظاهرات أو اعتصامات، «نزلت لأن حسّيت في نبض حقيقي». عدوي (حميدة) أصابت الساكنين في غزير والبلدات المحيطة لها، لينتشروا في الشارع، تماماً كما قُطعت الطرقات البحرية والسريعة في زوق مصبح وساحل جونية وادما والصفرا والعقيبة ونهر ابراهيم وجبيل وعمشيت... أغضبتهم الأخبار عن نيّة الحكومة فرض ضرائب جديدة، واستفزّهم مشهد التظاهرات في وسط العاصمة، حتى تكون لهم أيضاً مشاركتهم في «معركة استعادة الحقوق». بدأت القصّة، في غزير، من محادثة على تطبيق «واتساب» بين عشرة شبّان، قبل أن ينضم إليهم مراهقون وطلاب جامعات وأهالٍ ورجال أعمال ومتقاعدون... يُخبر أحد الذين بدأوا بالحراك كيف «خُدع» اصدقاؤه عندما قال لهم بأنّ الطريق أُقفلت أمام الملعب البلدي في جونية، «لأحثهم على النزول». أتوا جميعاً». قليلة كانت أعداد العناصر الأمنية الموجودة. لحظات ويمرّ موكب لمغاوير البحر في الجيش اللبناني، «يعطيكم العافية»، توجّه هتف المعتصمون ضدّ «14 و8... عملو البلد دكّانة»، وكان الاتجاه لأن تكون الصرخة الاعتراضية شاملة، فـ«كلّن قرطة حرامية». ولكن وُجد من يهتف ضدّ العهد والوزير جبران باسيل، مُطالبين إياه بالرحيل. للأخير مُناصرون في الشارع أيضاً. «أنا عونية، مع ميشال عون وجبران باسيل، ونازلة مع حالي وحقوقي مش ضدّن»، تقول شابة. إلى جانبها رجلٌ يُخالفها التوجه السياسي، ولا يريد إسقاط الحكومة «فليس هذا الحلّ». غالباً ما يُشارك في التحركات الشعبية، هو المُتألّم من «عدم وجود ضمان صحي ونظام تقاعد مُنصف. اسألي مصاري الضمان من سرقها وأصبح اليوم في الحكومة؟».

الغلبة في غزير كانت للجيل الجديد، طلّاب الجامعات تحديداً. رقصوا، عزفوا على الطبلة، ورفضوا العودة إلى بيوتهم. تقول إحداهنّ إنها «بتعلّم بالجامعة اللبنانية، وهونيك كارثة ثانية، ورغم انو بعدني باخد مصروفي من بيّي بس حاسّة خلص عم نختنق. كتير هيك وقاحة الدولة بالضرائب». أما رومي، فتستغرب سؤالها عن سبب مشاركتها في الاعتصام، «ما في شغل، البحر ملوث، القدرة الاستهلاكية عم تنخفض كتير، كل شي غالي». وتوضح فتاة في الـ19 من عمرها أنّ «قصة الواتساب كانت حبّة الكرز على قالب الحلوى (تقولها بالفرنسية)، ولكن الأساس أنّنا لا نملك شيئاً». ما المطلوب؟ بحسب فادي «حكومة اختصاصيين، لأنّ السلطة الحالية فاسدة وفاشلة. معقول أنّ 7 أشخاص لديهم ثروات بمليارات الدولارات ولم يتمّ إيقاف أي منهم لاستعادة الأموال؟».

كانت هناك دعوة «لإقالة كلّ من نهب اموالنا وجوّعنا» (مروان بوحيدر)

# «حظر تجوّل» في المتن الشمالي: إسقاط الحكومة... ورياض سلامة

**رلى ابراهيم**

«ما بتقدر أبدا تلغيني، بدك تسمعني وتحكيني»... تدندن إحدى الفتيات أغنية جوليا بطرس وهي تسير برفقة كلبها الصغير الأبيض إلى مكان تجمع بعض من رفاقها على جانب من أوتوستراد انطلياس أمس. الحياة، حتى بعد 24 ساعة من الاعتصام تبدو كفسحة أوسع وأكثر أملاً. الكل يضحكون هنا ويغنون... والكل يبدون في انتظار تطور ما، بمن فيهم عناصر الجيش المتأهبون في الناحية الأخرى من الطريق. تفكر رامونا لبعض الوقت قبيل الإجابة عمّا تريده حقاً اليوم. ما عاد الطلب بالمفرق ينفع: «نريد تحقيق كل مطالب الشعب. يفلوا ونحن منحققها بدونن وأولن رئيس الجمهورية». بالمناسبة رامونا أتت من بشري لتعتصم في انطلياس. بجانبها، يُرخي أحد المغتربين الآتين حديثاً الى لبنان بثقله على أحد بلوكات الباطون الفاصلة. يتردد في الحديث، ثم يطلب مساعدة للتعبير عمّا يريد إيصاله: «يمرقوا قانون رفع السرية المصرفية ويعترفوا بحقوق المواطن المدنية». العدد هنا يناهز الخمسين شخصاً وهو أشبه بتجمع عائلي لشدّة التآلف بين المعتصمين. يقف أحد الشبان مستغرباً حضور «غريب»، ليسير بنا إلى شاب على بعد أمتار منه طالباً منه أن يهتم بجريدة «الأخبار». يربط الأخير وجوده في الشارع بلائحة متكاملة: «إيقاف الفساد، استرجاع الأموال المنهوبة، إلغاء النظام الطائفي، كهربا، طبابة، استقالة الحكومة»... و«استقالة رياض سلامة» يضيف أحد الرفاق الواقفين بقربه.

لم يسبق لبلدات ساحل المتن الشمالي أن انتفضت منذ سنوات كثيرة. بدا الأمر يوم أمس أشبه بإعلان حظر تجول في الطرق الداخلية للتجمّع على نقاط الأوتوستراد الرئيسية. المصارف أُقفلت بقرار رسمي والمحال التجارية بقرار فردي. حركة السير شبه معدومة ويغيب عناصر الشرطة البلدية بشكل كامل. خلت أسواق ضبيه وانطلياس وجلّ الديب والزلقا والجديدة والدكوانة التي عادة ما تكون مكتظّة بناسها، إلا من بعض الدرّاجات النارية التي تعمد الى إشعال بعض الدواليب ومستوعبات النفايات لقطع الطرقات. حضر الطبل ليزفّ جسر جل الديب ولو متأخراً، على حدّ قول أحد المعتصمين هناك. وحضرت ثلاث سيارات محملة بمكبّرات صوت، تغني كلّ منها على سجيّتها. السواد المنبعث من الإطارات المشتعلة يلفّ السماء، وتعلو قبضات المعتصمين على الجسر بحركة واحدة منتظمة مع من يتجمّعون تحته. العدد هنا أكبر وموجّه أكثر. ينخفض صوت جوزف عطية، ليعلو صوت أحد الشباب «المترسّين» لقسم من الحشد: «من شهرين قلكن قائد المعارضة (ريما في إشارة إلى النائب سامي الجميل) فِلّوا أحسن ما تفلّوا شحط... فاسدين، زعران، سرقتوا المال العام». حضور النساء يوازي أو يفوق حضور الرجال عدداً في جل الديب، ومعظم هؤلاء من سكان البلدة. تقول إحداهن وهي تسير وزوجها وابنها وابنتها متماسكي الأيدي، إن فرصة الضغط لفرض تنازلات قد تكون ذهبية اليوم. أما ولداها، فيعتقدان أن مهرجاناً ما يحصل. في الساحة أيضاً خمسة شبان ينفثون النرجيلة بسلام وكأنهم في إحدى صالات السينما المفتوحة: «نريد استقالة الحكومة ورئيس الجمهورية. لو كان قادراً أن يقوم بالوضع لكنا معه».

على نهر الموت، «ولّعها» الشباب وكأنها ساحة حرب. يريدون إسقاط الدولة الطائفية بأحزابها: «كلن يعني كلن. هؤلاء الذين يقتاتون على دماء الحرب الأهلية». يبدو المكان مناسباً لتذكّر يوم من تلك الأيام الأليمة، حين أطلقت القوات اللبنانية النار على المتظاهرين في الموقع نفسه. «قديش العالم بعد بدا تنذلّ لتعمل ثورة»، يصرخ أحدهم. فيما زميله يتفرّغ لتسهيل مرور بعض السيارات مرتدياً قناع «فانديتا». تحلّ ساعات بعد الظهر، فتتفرق الحشود خصوصاً في سدّ البوشرية حيث لا وجود سوى لدراجات نارية تستعرض حركاتها على الطرقات وتضمن عدم إخماد النار في وسط الطريق. تسلك دراجة طريقها نحو مستديرة الصالومي لتعيد إغلاق أحد المنافذ نحو سنّ الفيل. يبدو الرجل مصرّاً على سدّها بدراجته. يفاوضه أحد عناصر القوى الأمنية. يرفض. يفاوضه آخر. يتمنى عليه الشاب أن يتركه لتنفيذ عمله. يصر العنصر الأمني. المشهد لطيف لكن الشاب يشعر بالتوتر، فيصرخ بالسيارات التي تحاول المرور: «مش عيب عليكن ما تنزلوا توقفوا حدّي لنسقط الحكومة».

# طرابلس تثور على الحريري وميقاتي

**عبد الكافي الصمد**

بعد قرابة 8 سنوات، انقلب المشهد السياسي والشعبي في طرابلس رأساً على عقب، ما أعطى مؤشراً أن ما بعد 17 و18 تشرين الأول 2019 لن يكون كما قبله في المدينة.

ففي 25 كانون الثاني 2011، احتشد مناصرو تيار المستقبل في ساحة عبد الحميد كرامي (ساحة النور) احتجاجاً على تكليف الرئيس نجيب ميقاتي بتأليف الحكومة على حساب الرئيس سعد الحريري، ما دفعهم حينها إلى إعلان «يوم الغضب» من «عاصمة السنّة»، قبل إشغال المدينة بجولات من الاشتباكات التي لم تهدأ إلا بعد استقالة حكومة ميقاتي.

في الساعات الـ48 الماضية تبدّلت الصورة تماماً، بعدما قام محتجّون بتمزيق صور الحريري وإحراقها، وكذلك إحراق صور والده الرئيس الشهيد رفيق الحريري والأمين العام لتيار المستقبل أحمد الحريري، بشكل لم يكن أعتى خصوم الحريري يتوقعه. مشهد أول من أمس استكمل أمس في طرابلس، وتوسّع نطاقه، بعدما قام المحتجون بمحاصرة قصر ميقاتي في الميناء وتمزيق صوره، وهي المرة الثانية التي يُحاصر فيها قصره، بعد محاولة أولى جرت قبل أسبوعين، ما دفع القوى الأمنية إلى إقامة طوق أمني كبير في محيط القصر لمنع الاحتكاك. وقد شملت الإجراءات أيضاً محيط منازل النواب والمقار الحزبية، لكن ذلك لم يحل دون دخول محتجّين مكتب التيار الوطني الحر في شارع الجمّيزات وتكسير محتوياته، كما سبق أن أحرقوا راية التيار البرتقالي في وسط الساحة، على وقع هتافات وشتائم بحق الوزير جبران باسيل، في حين قام آخرون بتحطيم محتويات مكتب النائب علي درويش في محلة جبل محسن، كما عمد البعض إلى تمزيق صورة للنائب فيصل كرامي.

أمس، ومنذ ساعات الصباح، كان المحتجون يصلون تباعاً إلى ساحة كرامي (النور)، حيث أغلقوا منافذ الساحة كافة، بينما كانت شاحنات صغيرة تنقل إطارات سيارات مستعملة إلى الساحة، تمهيداً لإشعالها. وهو أمر لم يطل انتظاره كثيراً، إذ سرعان ما ارتفعت أعمدة الدخان الأسود في سماء المدينة، ما تسبّب في شل الحركة في طرابلس بشكل كامل.

هتافات التنديد بالسياسيين طالت الجميع، لكن القسم الأكبر منها طال الحريري وميقاتي تحديداً، اللذين اتُّهما بالتخلي عن المدينة وفقرائها. اللافت في تحرّك أمس أن أحداً من القوى السياسية لم يتبنّه، كما لم يُرفع فيه شعار أي حزب أو تيار سياسي، وأن أغلب المطالب التي رفعها المحتجون لم تكن سياسية، بل تتمثل في تأمين فرص العمل ولقمة العيش والطبابة والتعليم في المدينة الأفقر في لبنان.

التحرّك الاحتجاجي في طرابلس لم يمر بشكل سلمي، ففي حين غاب نواب المدينة والقوى والأحزاب السياسية عن تحرّك الشارع فيها، باستثناء تأييد تلقّوه من النائب فيصل كرامي الذي دعا مناصريه للنزول إلى الشارع ومشاركة المعتصمين تحركهم، سقط عدد من الجرحى، كان من بينهم حالات حرجة، نتيجة إشكال بين مرافقي النائب السابق مصباح الأحدب الذين أطلقوا النار على محتجّين بعد رفضهم إلقاءه كلمة في الاعتصام «كي لا يستغل هو أو غيره التحرك لغاياتهم السياسية»، وفق قول أحد المحتجّين.

هذا الإشكال دفع المحتجين إلى التوجه نحو «كاراج الأحدب للنقليات» في ساحة التل المجاورة، الذي يملكه الأحدب، حيث قاموا بنزع لافتته وتكسير محتوياته وإحراقه. كما توجهوا إلى منزله في محلة المعرض، لكن الجيش اتخذ إجراءات أمنية حالت بينهم وبين هدفهم. وأوقف الجيش عدداً من مرافقي الأحدب المشتبه في إطلاقهم النار على المتظاهرين.

ومساءً، اقتحم محتجون محل «باتشي» للشوكولا الكائن في شارع الجمّيزات القريب من ساحة كرامي (النور)، الذي يملكه وزير الاتصالات محمد شقير وأفراد من عائلته، وقاموا بتكسير واجهته ونهب محتوياته.

(هيثم الموسوي)

**أوقف الجيش عدداً من مرافقي الأحدب المشتبه في إطلاقهم النار على المتظاهرين**

ما وراء الصورة

# تعددت الشاشات... والوجع واحد

نضال خيري ـ الأردن

**زينب حاوي**

أول من أمس، كانوا بضعة شبّان على جسر «الرينغ» يقطعون الطريق في الاتجاهين. شبان في العقدين الثاني والثالث، نزلوا للاحتجاج على رزمة الضرائب التي أذيعت عند الصباح، وأكدّها الوزراء المعنيون، على رأسها الضريبة على مكالمات «واتساب». نزل هؤلاء للاحتجاج أيضاً على تراخي اللبنانيين عن النزول. خال الإعلام والسلطة مجتمعين أن هؤلاء سرعان ما ستخمد صرخاتهم، ويعودون أدراجهم الى بيوتهم. لكن الذي حصل قلب التوقعات رأساً على عقب. أصرّ المحتجون مساءً على البقاء في الشارع، ونقل حركتهم من منطقة الى أخرى، وسط دعوة مباشرة وواضحة لبقية اللبنانيين الجالسين خلف شاشات هواتفهم إلى الالتحاق بهم. بعيد الساعة الثامنة من مساء أول من أمس، ولدى انتهاء غالبية نشرات الأخبار، بدأت حركة المعتصمين تتظهر على شاشات محدودة من ضمنها: «الجديد»، lbci وnbn، مع استكمال mtv برمجتها من دون أي تراخي اللبنانيين عن النزول. خال الإعلام والسلطة مجتمعين أن هؤلاء سرعان ما ستخمد صرخاتهم، ويعودون أدراجهم الى بيوتهم. لكن الذي حصل قلب التوقعات رأساً على عقب. أصرّ المحتجون مساءً على البقاء في الشارع، ونقل حركتهم من منطقة الى أخرى، وسط دعوة مباشرة وواضحة لبقية اللبنانيين الجالسين خلف شاشات هواتفهم إلى الالتحاق بهم. بعيد الساعة الثامنة من مساء أول من أمس، ولدى انتهاء غالبية نشرات الأخبار، بدأت حركة المعتصمين تتظهر على شاشات محدودة من ضمنها: «الجديد»، lbci وnbn، مع استكمال mtv برمجتها من دون أي تراخٍ. أما otv، و«تلفزيون لبنان» و«المنار»، فقد واصلت على تجاهل الحدث، الى أن كبرت كرة الثلج، وازدادت الأعداد بشكل مهول، بخاصة بعد حادثة إطلاق مرافقي وزير التربية أكرم شهيب النار في الهواء ومحاولتهم ترهيب المعتصمين. لحظة حاسمة، استطاعت توليد المزيد من الشحن، والدفع بمزيد من اللبنانيين إلى النزول والمشاركة بكثافة. لعلّ صورة الشابة التي ركلت عنصراً أمنياً شاهراً سلاحه في وسط العاصمة اللبنانية، من دون خوف وبكل بأس وقوة، كانت أبرز مثال، على ما بات عليه الشارع اللبناني اليوم، من كسر لجدران الخوف، وحتى تحطيم تابوهات تخص الزعماء أو شخصيات سياسية.

هكذا، توزعت الاحتجاجات على المناطق اللبنانية، من الضاحية، والجنوب، والبقاع. نزل الناس الى الشارع، تشجعوا وكسروا الخوف، ودفعهم قهرهم إلى أن يمسكوا بأيادٍ أخرى. للمرة الأولى في لبنان، نكون أمام هذه المشهدية الفريدة المكوّنة من معتصمين ركلوا انتماءاتهم الحزبية والطائفية والمناطقية جانباً، ووحدتهم أوجاعهم وتراكم الأزمات الاقتصادية الواقعة على كاهلهم. هؤلاء ليسوا بمجموعة واحدة ولا براسهم قادة، ولا وجود لأي اتصال في ما بينهم، فقط نزلوا بعدما طفح الكيل وكفروا بالطبقة السياسية الحاكمة.

في المشهدية التلفزيونية أول من أمس، كان لافتاً المسار الذي أجبرت عليه القنوات المحلية، بعدما علت الصرخات في الشارع. قنوات قطعت برمجتها، ونزلت بمراسليها الى الميدان لنقل الحدث، كمحطة mtv، التي واكبت متأخرة قليلاً الحدث بعيد تكاثر الأعداد، وسقوط أي احتمال بأن تكون على شاكلة باقي التظاهرات التي شهدتها بيروت أخيراً، مع تسجيل لأداء مراسليها ومحاولتهم تضييع البوصلة، كإصرار جويس عقيقي مراراً، لدى استصراحها أي محتجّ، على سؤاله عن الجهة التي دفعته إلى النزول والاعتصام، أو كلامها صباحاً عن «نوعية المتظاهرين» الذين اتوا بالدراجات النارية، ويمكن أيضاً الإضاءة على ما وصف به آلان درغام (mtv) المتظاهرين بانه يبدو عليهم «بانهم مثقفون وخريجو جامعات» لدى مواكبته سيل المحتجين في شارع الحمرا.

> مراسلة mtv تحدثت عن «نوعية المتظاهرين» الذين اتوا بالدراجات النارية!

بعد أكثر من ساعة تقريباً على تحرك الشارع، فُتح هواء «المنار» التي واكبت إلى ساعات الفجر الأولى ما يحصل في الشارع، والتزم التلفزيون الرسمي التجاهل الكليّ لغليان الأرض، فيما كانت otv، تؤخر التغطية، الى حين اتخاذها قرار فتح الهواء،لكن، من دون وجود مراسليها على الأرض. فقد اكتفت بنقل مباشر عن باقي زميلاتها، تحت ذريعة أن فريقها قد يتعرّض للاعتداء من قبل المتظاهرين. otv كانت من بين أكثر القنوات التي تعرّضت للتهكم. نُقلت صوراً لمحطات أخرى، وفُتحت الهواء لمجموعة ناشطين وسياسيين ليعلقوا على الحدث.

واضحت اللقطة الأكثر تداولاً وسخرية، عندما أوقفت المحطة بث ما يجري على الأرض قرابة الساعة الثانية عشرة ليلاً، وبدأت بثّ حلقة معادة من برنامج الطبخ «تيتا لطيفة». استغل الناشطون هذه اللقطة، وسخروا منها كونها تأتي في لحظة يغلي فيها الشارع، فيما تركن بدورها الى تفضيل عرض الترفيه. وصباح أمس، سقطت ذريعة القناة البرتقالية، إذ شاهدنا مواكبتها للتظاهرات على الشاشة، ونزل مراسلوها الى الشوارع وأدلوا برسائل من هناك من دون تسجيل أي أذى لحق بهم.

مع التغطية التلفزيونية الحيّة المفتوحة ليل أول من أمس، حتى ساعات الفجر الأولى، احتل نقل وجع الناس المشهد، مع تسجيل لبعض الشوذات لدى تخصيص مساحات لافتة للسياسيين من قبل lbci، وبعدها mtv، في تكرار لسيناريوات سابقة في التعاطي مع أحداث مماثلة، والركون الى أصوات ليس مكانها على الشاشات بل في ميادين المساءلة.

ما يمكن الخروج به في هذه التغطيات، أنها كسرت حواجز الصمت والخوف لدى اللبنانيين باطيافهم كافة، وحطمت أيضاً أجندات القنوات التي اضطرت صاغرة إلى النقل، تحت سوط المساءلة في حال تجاهل نبض الشارع. كذلك، كسرت قاعدة أن الكلمات البذيئة والشتائم يجب تجنّب نقلها على الهواء. فقد كان لافتاً، هذه المرة، عجز المراسلين/ات، عن التحكم في الأرض وفي وجع الناس، فخرجت استصراحات كثيرة، لم تتوان عن توجيه الشتيمة والعبارات المسيئة للطبقة السياسية. فقد بات هذا الأمر جائزاً وطريقاً لتحطيم سلّم الخوف في التعاطي مع الساسة. الوحدة الوطنية اللبنانية تجلّت من دون أي اتفاق مسبق في كل المناطق، والتي لم يشهد بعضها أي حركة مشابهة منذ الحرب. كل ما حصل أول من أمس أفرز مشهدية فرضت نفسها على الإعلام ورجال السلطة الذين فضّلوا الناي بأنفسهم عن غضب الشارع، وتجنّب حتى التصريحات الإعلامية خوفاً من توليد غضب إضافي يحل على رؤوسهم، بعدما مُزّقت صورهم وبات الهجوم عليهم بالأسماء أمراً معتاداً على الشاشات، بعدما كان من «المحرّمات».

## الإعلام السعودي يصوّب على المقاومة

فيما اللبنانيون يتوحّدون للمرة الأولى بدأ بيد في وجه الطبقة السياسية الحاكمة من كل الأطياف، وفي كل المناطق اللبنانية من دون استثناء، لم تجد «العربية» سبيلاً لتنفيذ أجندتها ضد «حزب الله» سوى تعمدها في كل تقرير، وحتى في تغطيتها الميدانية إلى إبراز عبارة «حزب الله» وتصوير الاحتجاجات على أنها تنطلق من تلك المنطقة، وتتركز فيها دون سواها في تضليل واضح للحدث.

هكذا، ركزت الشبكة السعودية، على التظاهرات التي حدثت في الضاحية وراحت مراسلتها في بيروت غنوة يتيم، تستصرح المحتجين من هناك. لتخرج بتقرير معنون «ماذا قال أحد المتظاهرين في الضاحية الجنوبية لبيروت لنصر الله؟». تقرير وجّه اللوم إلى أمين عام «حزب الله» السيد حسن نصر الله، على غياب الحاسبة للفاسدين. كذلك، في تقارير أخرى، متفرقة، أصرّت «العربية» على وصف «الضاحية» بـ «معقل حزب الله»، والتركيز على هذه البقعة التي شهدت احتجاجات شعبية أول من أمس.



وخدت الحرائق الناس. شعروا بالخوف. تُركوا وحدهم ليواجهوا غضباً رهيباً. اكتشف الناس: الدولة فاشلة إذاً تأخر الإعلام في الفهم. وباستثناء التغطية الاستثنائية لمراسلة تعاطفت مع الضحايا، تصرف على تنويعاته كما يتصرف اليائسون. انتهت الحرائق، بلا حساب، بلا أسئلة. لكن الناس فهموا ان الحرائق آتية. ما فعلوه خلال اليومين الماضيين ليس إجباراً للسلطة على الاستماع إلى صوتهم بالقوة، بل إعلام الجميع: «نحن الإعلام»

# الشعب قال كلمته، على الإعلام أن يتبع

**أحمد محسن**

الفرح والأمل وتوزيع السعادة ليست وظائف أحد. توزع الأدوار وتوزيعها قد يكونان ضمن مستويات متفاوتة للتعامل مع الكارثة. الكارثة التي سيصل إليها بلد تقود سياسته المصارف التي هو مدين لها، وهذا الخطاب ما زال غائباً عن ألسن محتلي الهواء على الشاشات. المشهد الإعلامي في غاية البساطة: لدى الناس ما يقولونه في الشارع. هل لدى الذين يخرجون على الشاشات ما يقولونه؟ حتى الآن، النفي إجابة عادية. كذلك، المشهد في غاية التعقيد. فالأمل مبالغ فيه. ليس ضرورياً في غير وقته، وليس هناك من أي حلّ للأزمة قبل الاعتراف بها، أو في الحالة الإعلامية اللبنانية تحديداً: عدم التخلي عن هذا الاعتراف. الاعتراف أهم من الأمل، وأكثر رجاحة بكثير. حتى الآن، ما يجمع المؤسسات الإعلامية بالتظاهرات والمتظاهرين، هو الاعتراف. استمرارهم في التحرك ضدّ الأزمة بمواكبة إعلامية، على أرضية لا تخلو من ذهول جميع الأطراف بأنفسهم. الناس صدّقت أنها تستطيع أن تفعل ما تريد فعله، أو على الأقل تقول ما تريد قوله، من دون طوائفها، والإعلام لوهلة أيضاً صدّق أنه يمكن أن يكون خلف الناس، وليس خلف الطبقة المهيمنة. تبدو الأمور مختلفة قليلاً على الأرض. الإصرار الذي يبدو عليه المتظاهرون، متجمعين ومتماسكين في أحيائهم، لا يبدو دقيقاً في التلفزيون. قبل الكاميرات، لا يبدو هؤلاء متحمسين لتأكيد انتمائهم إلى الجوع وإلى الأزمة، قبل انتمائهم إلى أي حظيرة طائفية. ظهورهم على التلفزيون، في كثير من الأحيان، يجعل هذه المتلازمة ضرورية، أي نفيهم لأي صبغة طائفية مشبوهة عن اعتراضهم. في الليلتين الماضيتين، ورغم عدم وجود أي مظهر «طبيعي» في التظاهرات، كان وعي المتظاهرين بالمحصلة، وفي محطات كثيرة، يتجاوز وعي المراسلين التلفزيونيين. مراسلو قناة «الجديد» الطيّبون، دخلوا في سجالات مع المتظاهرين على الطريقة اللبنانية، كما لو أنهم جزء من النقاش. مراسلو «أم تي في» حاولوا الإسهام في تحييد بعض الشخصيات. مراسلو «او تي في» كانوا مستغرقين في مشاهدة الأحداث عبر شاشات أخرى، لأن «تيتا لطيفة» كانت تُعدّ طبقاً شهياً من الكفتة والبطاطا على شاشتهم. في جميع الحالات، اندفاع الإعلام على نحو متواتر، يشبه تواتر الناس أنفسهم إلى الطرقات، ويقود إلى مجموعة ملاحظات رئيسية.

أولاً، التفاوت الرهيب في الحرفية بين العاملين في المؤسسة الإعلامية الواحدة. مثلاً، على «الجديد»، على نقيض من المناوشات الحامية بين بعض مراسلي «الجديد» المبتدئين مع الناس، النابعة من شعور فظيع بسُلطة منحهم الحق في الحديث، بدا مراسل «الجديد» في مار مخايل مرتاحاً مع نفسه، حاضراً وجاهزاً، كما لو أنه يعرف هؤلاء الناس. وإذا أردنا استخدام لغة أكثر علمية، يبدو أنه يعرف ما الذي يريده هؤلاء الناس، وكيف يريدون قوله، وإلى من يتوجهون بأقوالهم واعتراضهم.

> تحميل القنوات مسؤولية التصريحات العنصرية ليس عادلاً في بعض الحالات

هذا التصنيف، رغم أنها تشكّلت في الأساس كمؤسسات طائفية. هذه المؤسسات وجدت نفسها في اليومين الماضيين تتحرك داخل النظام وليس خارجه، لكنها شعرت لأول مرة بقيادة جديدة للنظام. لقد قاد المتظاهرون خارجية، على نقيض من مصالح المرتزقة والانتهازيين.

ثانياً، أصوات الناس كانت أعلى من المؤسسات الإعلامية، أو المؤسسات التي أدرجت نفسها في تظاهراتهم، وخرجوا بأنفسهم، على نحو محكم، إلى درجة صعّبت على الأبواق المعتادة «التشويش» على التظاهرات، وإضافة أبعاد مؤامراتية خيالية إليها. وهذه نقطة أساسية. لوقت طويل، حكمت علاقة هذه المؤسسات بالسُلطة، وحكمت علاقة اللبنانيين بإعلامهم. علاقة تقتصر على تبادل جرعات من الطائفية، ومن تمييع متواصل للأزمة. وفي الليلتين الماضيتين، كانت المؤسسات الإعلامية – وليس جميعها طبعاً على الدرجة ذاتها من العلاقة بالسُلطة القائمة – قد وجدت نفسها خلف سُلطة جديدة، لا تعرف التعامل معها، بحيث إن هؤلاء الناس لا مرجعية حزبية وطائفية محددة لهم. القول إن اللبنانيين الذين شاركوا في التظاهرات خرجوا من طائفيتهم إلى الأبد هو قول مبالغ فيه، وتعطّله التغطية الإعلامية نفسها. لقد وضعوا طائفيتهم جانباً، ما اضطر المؤسسات الإعلامية إلى أن تضع علاقتها بالطبقة المهيمنة المتذرعة بوصايتها على الطوائف جانباً. ودائماً، ينبغي التنبيه إلى أن التلفزيون، بالاستناد إلى مراجعة طويلة لبورديو، لا يمكنه إظهار الصورة كاملة، لأن إظهارها يعطّل جزءاً أساسياً من صورته.

ثالثاً، الإعلام معني بفتح الهواء للاعتراضات والمعترضين، لكنه معني أيضاً بالبحث عن أصوات داعمة للتظاهرات، وقادرة على رفع مستوى المطالب إلى درجة واقعية. الصرخات من الحناجر المتعبة هي الحقيقة، ولكن يجب أن يجد المتظاهرون في الإعلام المادة التي يبحثون عنها وهي موجودة، للرسو على مطالب من شأنها منع أركان السُلطة من التمييع. بين الطبقة الأوليغارشية التي فعلت ما فعلته ولم تشبع، وبين الطبقة المضادة، وجوه وأسئلة كثيرة. هذا ما لا تظهره وسائل الإعلام التلفزيونية. لأسباب عديدة، اكتفت هذه المحطات، على مدار اليومين الماضيين، بالذهول. انبهرت بالأصوات القوية، بخروج اللبنانيين أخيراً عن صمتهم. اكتشف الإعلام اللبناني خلال اليومين الماضيين أن «الأكثرية الصامتة» يمكنها أن تتحدث، وأن تصرخ، وأن تعلن عن نفسها كأكثرية، قابلة للاتساع أو للانحسار. اكتفت الوسائل الإعلامية بفتح الهواء، وإرسال مراسلين يتفاوتون في درجة الحرفية، وفي درجة الطائفية تبعاً للمؤسسات التي خرجوا منها. في المقابل، لم يظهر من يتحدث عن دور المصارف، وعن المخارج الممكنة. تعرّفت المؤسسات الإعلامية إلى نوعين من الوجوه وحسب: النوع الأول وهو الأكثر سطوعاً وحقاً بالمشهد، وهو الذي أجبر الجميع على الاستماع إليه. والنوع الثاني هو النقيض، أي الوزراء وأركان السُلطة. بسُلطته، استطاع الإعلام لوقت طويل تقديم الكثير من الأصوات الانتهازية على أنها من دعاة الإصلاح والمقاومة وما شاء الله من شعارات. حتى ليل أول من أمس، خسر الإعلام هذه السُلطة. الناس كفرت بكل شيء، والإعلام كان ينقل كفرها، محافظاً على خيط رفيع من العلاقة بالسُلطة تحت ذريعة واهية هي «المعايير المهنية»، ويعلن بصوت خافت: «لست بكافر».

رابعاً، هناك أشياء لا يمكن تفاديها في أحداث جارفة. تحميل الإعلام مسؤولية التصريحات العنصرية هنا وهناك ليس عادلاً في بعض الحالات، وفي حالات أخرى قد يكون ضرورياً. المسألة شائكة ولا يمكن توقع محاضرات في الدفاع عن المجتمع بين جحافل المتظاهرين الجائعين. العمل على نبذ هذه الأفكار متأخر، والإعلام لعب دوراً سلبياً يشبه دور السُلطة التي أوهمت الناس بوجود مشكلة مع اللاجئين. على الإعلام أن يستقيل من دوره في فضح هذا الوهم، إضافة إلى الأوهام الأخرى، التي رسّخها النظام لوقت طويل، مثل مديح الجيش والعسكر، الذي لا يدل إلا على وجود خوف عميق ما زال كامناً في مكان ما في نفوس المتظاهرين. الأمل لا يكفي، الاعتراف هو أول الطريق، والمجد يبقى دائماً للذي قال لا.

(راهي فانصوه)

قضية

العجز. هو كلّ ما يمكن أن يعبّر عن الحالة المصرية في ملف سدّ النهضة الإثيوبي. فلا العمل العسكري، بغضّ النظر عن القدرات الفعلية على ذلك، يُجدي نفعاً على المديين القريب والبعيد، ولا الرهان على واشنطن تظهر منه أيّ ثمار، خاصة مع ما عُهد من دونالد ترامب، سنوات، بل عقود، من الإهمال للملف الافريقي عامة، تكلّلت بإهمال في قضية «النهضة» التي سُحبت من حجر وزارة الخارجية لتتسلّمها المخابرات. حتى التقارير التي كانت تُرفع إلى عبد الفتاح السيسي من مستشاراته حول هذا الملف لم تكن تصله كاملة! بعيداً عن مدى الحقّ الإثيوبي في تحديد آليات تشغيل السدّ، أظهر السلوك التفاوضي المصري حقيقة موقع القاهرة الإقليمي، والذي لا تزال تتغنّى به. فحتى على صعيد القارة الافريقية، لم تستطع، لا في ظلّ وجودها في الاتحاد الافريقي ولا خارجه، أن تكوّن لنفسها مكانة تستطيع من خلالها فرض الجزء اليسير مما يضمن لها سلامتها من خطر يمسّ أمنها القومي، الذي - للمفارقة - لطالما شكّل شماعة لتبرير سياسات النظام القمعية. اليوم، أكثر من مئة مليون مصري مهدّدون بالعطش، فيما أزمة حادّة تتهدّد الإنتاج الزراعي والطاقة الكهربائية. وسط ذلك، لا يملك السيسي سوى القول إنه ليس سبب الأزمة، بل ثورة المصريين في 2011... في انتظار سيناريو من اثنين: العطش، ليزيد سيلاً إلى أسباب موت المصريين، أو الانجرار إلى حرب لم يعد تصوّرها مستحيلاً!

(الأخبار)

(مروان بوحيدر)

## دعوى جورج إبراهيم عبدالله ضدّ الدولة الفرنسية

# بوردو أيلول 2019

لائحة اتهام المدعي العام
رنيه نيعة *
المكلّف من قبل جورج إبراهيم عبدالله
سيدي الرئيس،
السادة الحضور،
إن الثقة التي منحني إياها جورج إبراهيم عبدالله تشرّفني وتلزمني. إنها تلقي على كتفي مسؤولية كبيرة أمام التاريخ والعدالة الإنسانية، لأثبت أن قضية جورج إبراهيم عبدالله، التي كانت في البدء، باختصار كاريكاتوري، قضية قتل دبلوماسيين في فرنسا، ستؤدي بسبب تدخل السياسة في القضاء، إلى سلسلة من الأعطال لتنتهي إلى مسخرة قضائية، وهي ليست إلا مثالاً بيّناً على التنكّر لمفهوم العدالة بحد ذاته، ليمنح دولة اسمها إسرائيل هي وأتباعها الفرنسيين، حق الانتفاع من حصانة قانونية تامة.

1- قضية جورج إبراهيم عبدالله مثال بيّن على التنكّر لمفهوم العدالة بحد ذاته.

محاكمة غير نزيهة، تهمة غير مثبتة، شهادة زور، عدم الالتزام بالتعهدات، في سياق الدفاع عن النفس، لكل هذه الأسباب تستحق قضية جورج إبراهيم عبدا لله أن تُدرَس في مناهج مدرسة القضاة كمثل مضاد لحسن إدارة العدالة.

أ- محاكمة غير نزيهة

محامي دفاع لحساب جهاز المخابرات الفرنسية

كالدودة في الفاكهة، كان محامي الدفاع لجورج إبراهيم عبدالله Jean Paul Mazurier، ينفّذ مهمة لحساب جهاز المخابرات الفرنسية.

لم تشهد سجلّات العدالة مثل هذه الحالة من العدالة ومع ذلك لم يؤدّ ذلك إلى إلغاء المحاكمة.

في 28 شباط من عام 1987 حُكم على جورج إبراهيم عبدالله بالسجن المؤبد بعد 70 دقيقة من المداولات في محكمة خاصة مؤلفة من 7 قضاة. بعد عدة أيام نشر واحد من محاميه وهو Jean Paul Mazurier، كتاباً يعلن فيه أنه عمل لحساب جهاز المخابرات الفرنسية. لكن المحاكمة لم تُلغَ. وها هي فرنسا « بلد حقوق الإنسان» لا تكترث بما تعتبره جزئيات.

ب- تهمة غير مثبتة.

سُجن جورج إبراهيم عبدالله وحوكم بناءً على براهين مزيّفة. مسدس ملفوف بجريدة عربية صدرت بعد سنتين من توقيفه.

والقاتل الفعلي هي ناشطة في الحزب الشيوعي اللبناني اسمها جاكلين اسبر بالاسم المستعار الرفيقة ريما، توفيت بعد معاناة طويلة مع المرض في عام 2016في بيروت حيث كانت تعيش بشكل سرّي.

لقد حدث قتل الملحق العسكري الإسرائيلي في السفارة الإسرائيلية في باريس عام 1982 Yacov Barsimentov، وهو سبب اعتقال جورج إبراهيم عبدالله، ولم يُكشف عن هوية القاتل إلا بعد 34 عاماً من حادثة قتل هذا الدبلوماسي الإسرائيلي المزيّف في خضمّ الحملة الانتخابية الفرنسية.

وبالرغم من ذلك فقد وضع هذا الكشف السلطات الفرنسية في وضع حرج، لكن ذلك لم يؤدّ إلى مراجعة المحاكمة في ما يخص السبب الرئيس في اعتقال هذا المناضل الشيوعي اللبناني.

ت- شهادة زور أو عدم الالتزام بالتعهّدات.

بغضّ النظر عن إدانة جورج إبراهيم عبدالله، فقد تعهّدت فرنسا بالإفراج عنه مقابل الإفراج عن الدبلوماسي الفرنسي في طرابلس Sydney Peyrolles الرهينة لدى الفصائل المسلحة الثورية اللبنانية التي كانت قد تبنّت اغتيال الدبلوماسي الإسرائيلي.

أُفرج عنّ Sydney Peyrolles لكن جورج إبراهيم عبدالله بقي في المعتقل بسبب صدفة غريبة مثيرة للشك: اكتشاف أداة الجريمة، أي ذلك المسدس الملفوف في صحيفة عربية صادرة بحسب تاريخها بعد سنتين من توقيف المتهم، بالرغم من أن فرنسا كانت قد تعهّدت للجزائر بلسان Yves Bonnet الذي كان حينها مديراً لإدارة الأمن الداخلي DST.

* لماذا لبناني مسيحي مؤيّد للقضية الفلسطينية؟

ليس النضال من أجل حقوق الشعب الفلسطيني شأناً عربياً وإسلامياً فقط بل إنّه شأن كل إنسان غيور على السلام والعدالة فوق كل اعتبارات مذهبية وعرقية.

كانت بيروت تُعتبر في السبعينيات رافداً للنضال القومي وآخر بقعة للمعارضة الفكرية العربية.

كما ستكون هذه العاصمة بين الاجتياحين الإسرائيليين عامي 1982 و2006 منبراً للكلمة والرأي لتعوّض عن الهزيمة التي مُنيت بها القومية العربية على أثر نكبة 1967.

ستصبح في ما بعد منصة ثورية لكل حركات التحرر في المنطقة، من سيلعب البعد المسيحي لجورج إبراهيم عبدالله دوراً أساسياً في المعاملة الظالمة التي ستخصّها به فرنسا.

أ- الترتيب الزمني للأحداث شاهد على استراتيجية إسرائيل لزعزعة استقرار المنطقة.

كانون الثاني 1968: قصف جوّي إسرائيلي لمطار بيروت يؤدي إلى تدمير كامل أسطول الطيران المدني اللبناني.

تموز 1972: اغتيال المتحدث باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين غسان كنفاني وابنة أخته ذات السبعة عشر عاماً في بيروت بسيارة مفخّخة وضعها عملاء إسرائيليون. كان كنفاني يُعتبر شخصية أدبية فلسطينية كبيرة في العالم العربي.

بعد أقل من سنة، في نيسان 1973: قصف جوي إسرائيلي على مركز مدينة بيروت قتل فيه ثلاثة قادة فلسطينيين، كمال نصر المتحدث باسم فتح، أبو يوسف نجار وزير الداخلية في المنظمة الفلسطينية المركزية، كمال عدوان المكلّف بحركة الشباب الفلسطيني في فتح.

ستشتعل الحرب الأهلية اللبنانية بعد سنتين أي في نيسان 1975. وهذه الصدفة الزمنية ليست دائماً عرضية، قد تكون أحياناً متعمّدة.

ب- على الصعيد الإقليمي.

إن الهجوم الذي أدى إلى اعتقال جورج إبراهيم عبدالله حدث في كانون الثاني 1982، في ظروف إقليمية متفاقمة تميّزت بما يلي:

- تدمير الطيران الإسرائيلي لمحطة تموز النووية العراقية في 7 حزيران 1981.

- قرار ضمّ اسرائيل لهضبة الجولان السورية في 14 كانون الأول 1981.

- إعلان القدس عاصمة أبدية لإسرائيل في كانون الأول 1981.

هل يجب التذكير أنه في كانون الثاني 1982 وقبل ستة أشهر كان هدف الاجتياح الإسرائيلي للبنان إيصال حليفها بشير الجميل زعيم ميليشيا الكتائب إلى السلطة؟

معادلة شخصية جورج إبراهيم عبدالله.

سيلعب العامل المسيحي عند جورج إبراهيم عبدالله دوراً حاسماً في المعاملة الظالمة التي ستخصّه بها فرنسا.

إن اغتيال الدبلوماسيين في فرنسا والإجراءات القانونية المتّخذة ضد جورج إبراهيم عبدالله ستحدث على مسرح صراع نفوذ بين فرنسا، شريكة العراق في حربها ضد إيران وبين الحلف المناهض للهيمنة الأميركية-الإسرائيلية في المنطقة: سوريا وإيران والمعسكر التقدمي في لبنان الملتف حول الحزب الشيوعي الفلسطيني والفصائل المقاتلة الفلسطينية.

في هذا السياق، سيبدو جورج إبراهيم عبدالله كأحد الأضرار الجانبية لهذا الصراع، أو الحلقة الضعيفة إن لم نقل كبش الفداء المثالي.

إنه كبش الفداء لأنه لبناني مسيحي شيوعي مؤيّد للقضية الفلسطينية، لأنه بكل بساطة يطيح بالقراءة التقليدية لما يحدث ويكسر كل مفاتيح فهمه.

الحالة الفرنسية: دراسة مقارنة بين حالة أنيس نقاش وجورج إبراهيم عبدالله.

أنيس نقاش، مسلم لبناني، زعيم فرقة حاولت اغتيال آخر رئيس وزراء شاه إيران شهبور بختيار، في 18 تموز 1980 في منطقة Neuilly sur Seine وحُكم عليه بالسجن المؤبّد في 10 أيار 1982.

راح ضحية عملية الاغتيال 3 قتلى وجريحان. من بين القتلى الشرطيان. بغضّ النظر عن هذه الحصيلة الدامية، فقد حصل نقاش على عفو رئاسي أيام فرانسوا ميتران في 27 تموز 1990 على خلفية مباحثات شاملة بين فرنسا وإيران بشأن الرهائن الفرنسيين في لبنان.

وهكذا قضى أنيس نقاش عشر سنوات من حكمه لعمل ذهب ضحيته ثلاثة فرنسيين بينهم شرطيان.

هذا يدفع للاعتقاد بأن فرنسا قد تساوم على مصالحها الوطنية أمام الضغوط الخارجية.

لماذا هذا الفرق في التعامل مع هذين اللبنانيين المناضلين من أجل القضية الفلسطينية أنيس نقاش وجورج إبراهيم عبدالله؟

الجواب بكل بساطة هو أن أنيس نقاش تدعمه بلا هوادة قوة إقليمية تريد أن تفرض احترامها على الساحة الدولية، بينما جورج إبراهيم عبدالله هو مواطن في بلد اسمه لبنان غرق زعماؤه الواحد تلو الآخر في استغلال مناصبهم في مجال الأعمال مع نظرائهم الفرنسيين من دون الالتفات إلى مواطنيهم المعتقلين ظلماً في فرنسا.

باستثناء الرئيس إميل لحود (1998-2007) الذي كان يأخذ عليه الغرب دعمه لحزب الله، لم يقم أي رئيس لبناني بذكر قضية جورج إبراهيم عبدالله أمام المسؤولين الفرنسيين:

بينما في المقابل، استطاع أمين عام حزب الله حسن نصرالله تحرير عشرات الأسرى المناضلين من أجل القضية الفلسطينية اللبنانيين والعرب مقابل إطلاق سراح سجناء إسرائيليين، نذكر منهم عميد السجناء السياسيين العرب في إسرائيل اللبناني الدرزي سمير قنطار ولم يكن بينهم شيعي واحد.

يمثل جورج إبراهيم عبدالله المثال المضاد لكل المعارضات العربية الحديثة التي تتحكم فيها قنصليات القوى الاستعمارية القديمة والتي تضع ربطات العنق وتحمل البطاقات المصرفية الذهبية لحسابات تُغذيها مشيخات البترو-دولار.

إنّ تمديد اعتقاله بطريقة مُخزية قد رفعه إلى مصافّ الرموز النضالية النزيهة.

تشكل قضية جورج إبراهيم عبدالله بمحاكمته الظالمة وحكمه المشين عاراً على عار في تاريخ العدالة. رفعه الحكم بالنفي إلى مصافّ الأبطال الأسطوريين في تاريخ النضال الفلسطيني مثل مروان برغوتي زعيم فتح وأحمد سعدات زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، إنه دليل التقزّم السياسي للزعماء اللبنانيين والفرنسيين في آن معاً.

يسرّ المحكمة أن تقضي بالحكم على الدولة الفرنسية بجريمة «إساءة استعمال السلطة» وإنزال عقوبة «السخط الوطني» على موظفيها وزير الداخلية مانويل فالس، ووزير الخارجية لوران فابيوس «لتقاعسهما في واجباتهما وخيانتهما لثقة الشعب الحرّ والمبادئ الأساسية التي تقوم عليها الديمقراطية وقيم الجمهورية».

عاشت فلسطين! عاش جورج إبراهيم عبدالله! ولبيقَ مثلاً يحتذى به للأجيال القادمة!

(*) كاتب وصحافي لبناني، ناشر موقع «مدنيّة» الذي ينشر هذا النص بالفرنسية تزامناً مع «الأخبار»
ترجمة سناء يازجي خلف



## جورج إبراهيم عبدالله... مُقاتلٌ لا مُجرمٌ

● 2 نيسان 1951: وُلد في القبيات - عكّار

● 1966: بداية انخراط عبدالله في العمل السياسي، من خلال نشاطه مع الحزب السوري القومي الاجتماعي

● 1978: انضم إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

● 1981: شارك في تأسيس «الفصائل المُسلّحة الثورية اللبنانية»

● 24 تشرين الأول 1984: لاحقه «الموساد» في مدينة ليون (فرنسا)، قبل أن تعتقله السلطات الأمنية الفرنسية، بحجة حيازته جوازَ سفر جزائرياً مزوّراً

● 6 آذار 1985: جاء في مُذكّرات مستشار الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، جاك أتالي، التي نُشرت في الـ1988، أنّه لم تكن «تتوفر لدينا أي أدلة ضد جورج ابراهيم عبدالله، لذا لا يُمكن أن توجّه إليه المحكمة أي اتهام آخر سوى امتلاك جواز مزور». كان يُفترض أن لا يمكث عبدالله، بسبب هذه «التهمة»، في السجن أكثر من 18 شهراً

● 1985: نكثت فرنسا بتعهّدها إتمام صفقة تبادل بإطلاق سراح عبدالله مقابل الإفراج عن الدبلوماسي الفرنسي جيل سيدني بيرول، المخطوف في لبنان

● 10 تموز 1986: حكِم عليه بالسجن 4 سنوات بتهمة حيازة أسلحة ومتفجرات

● 1 آذار 1987: محاكمة ثانية بعد أن وُجّهت له تُهمة التواطؤ في أعمال «إرهابية»، وصدر في حقه حُكم السجن المؤبد.

مِن التُّهم في حقّه:

- تأسيس «الفصائل المُسلّحة الثورية اللبنانية»
- محاولة اغتيال المسؤول الثاني في السفارة الأميركية في فرنسا كريستيان أديسون تشابمان، في 12 تشرين الثاني 1981
- اغتيال الملحق العسكري في السفارة الأميركية في فرنسا، الكولونيل تشارلز راي، في 18 كانون الثاني 1982
- اغتيال السكريتير الثاني للسفارة الاسرائيلية في فرنسا، ياكوف بارسيمنتوف، في 3 نيسان 1982
- تفخيخ وتفجير سيارة الملحق التجاري في السفارة الأميركية في فرنسا، رودريك غرانت، في 22 آب 1982
- اغتيال المدير السابق للقوات الدولية في سيناء، الدبلوماسي الأميركي ليمون هانت، في 15 شباط 1984

(أرشيف)

- محاولة اغتيال القنصل العام للولايات المتحدة الأميركية في ستراسبورغ (فرنسا)، روبرت أونان هوم، في 26 آذار 1984

● 1999: استوفى الشروط المطلوبة للإفراج عنه، التي يُحدّدها قانون العقوبات الفرنسي

● 2002: كتب النائب السابق في البرلمان الفرنسي آلان مارسو (شغل سابقاً القاضي المعني بمكافحة الإرهاب، ونظّم عملية المحاكمة) أنّه «حكمنا على جورج عبدالله على ما لم يقم به»

● 19 تشرين الثاني 2003: قرّرت محكمة الإفراج المشروط إطلاق سراح عبدالله. فاستأنفت النيابة العامة الفرنسية القرار، ما عطّل إخراجه من السجن

● 9 أيلول 2005: عارضت النيابة العامة الفرنسية أي قرار يقضي بإطلاق سراحه

● 31 كانون الثاني 2006: رفضت النيابة العامة الفرنسية طلب إطلاق سراح عبدالله، مُتحجّجة بأنّ صورة فرنسا ستهتز أمام الولايات المتحدة وحلفائها، وأنّ ترحيله إلى لبنان لا يشكل ضمانة لعدم تكراره الأعمال التي قام بها

● 6 شباط 2007: تقديم طلب الإفراج المشروط السابع، الذي رُفض في 10 تشرين الأول

● 20 كانون الأول 2007: استأنف عبدالله الحُكم، وعُقدت جلسة الاستئناف في 31 كانون الثاني حين تأجّل إعلان الحُكم إلى تاريخ 17 نيسان 2008

● 4 أيلول 2008: نقل الملفّ من محكمة الإفراج المشروط إلى لجنة خاصة للنظر «في درجة خطورة» عبدالله

● 7 كانون الثاني 2012: صرّح المدير الأسبق للاستخبارات الفرنسية بأنّ لديه «أزمة ضمير مع قضية عبدالله... من غير الطبيعي والفظيع استمرار اعتقاله... إنها سياسة انتقامية من الدولة ضدّ عبدالله»

● 10 كانون الثاني 2013: وافقت غرفة تطبيق العقوبات في باريس على طلب الإفراج الثامن، رابطةً إياه بمغادرته الأراضي الفرنسية. استأنفت النيابة العامة، فعُلّق الحُكم.

- المتحدثة باسم الخارجية الأميركية: «لا نعتقد أنه يتعيّن الإفراج عن عبدالله، ونواصل مشاوراتنا مع الحكومة الفرنسية بشأن ذلك»

● 2013: تشكّلت في لبنان لجنة وزارية لمتابعة القضية، وزار وفدٌ رسمي باريس لمناقشة الأمر

● حزيران 2014: للمرّة الأولى منذ اعتقاله، طُرح ملفّ عبدالله في الدورة الـ26 لمجلس حقوق الإنسان في جنيف

● 6 تشرين الثاني 2014: رفضت محكمة تنفيذ الأحكام الفرنسية الطلب التاسع بالإفراج المشروط

● 17 حزيران 2018: الرئيس ميشال عون يراسل نظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون، يطلب فيها الإفراج عن عبدالله

● 22 كانون الأول 2018: زار السفير اللبناني لدى فرنسا رامي عدوان، عبدالله في سجنه، فكانت تلك أول مرّة يزوره فيها سفير لبناني

● 2019: أتمّ عبدالله 35 عاماً في السجن

(مروان طحطح)

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري، شربل كريم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل ـ 15 ـ 01/666314، 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

# ترامب في مواجهة دولة الأمن القومي: استغلال الكرد واستغلالنا

**أسعد أبو خليك ***

جُنَّ جنون الإعلام الأميركي ومراكز الأبحاث وتجّار حقوق الإنسان الغربيّين هذا الأسبوع. ترامب قرّر سحب القوّات الأميركيّة من سوريا لتمهيد الطريق لتوغّل تركي في سوريا (كلمة «توغّل» تذكّر باستعمالها في سياق التدخّل العسكري السوري لصالح الانعزاليّين في 1976، عندما أراد «المجلس الإسلامي» أن يصف التدخّل بكلمة ألطف من اجتياح فوصفه بـ«التوغّل»، وكان المصطلح لشفيق الوزّان يومها)، جابه ترامب ثورة من داخل حزبه ومن خارجه، من الإعلام من مراكز الأبحاث، من خبراء ديموقراطيّين وجمهوريّين في السياسة الخارجيّة. ولو أردت أن تختبر نظريّة الديموقراطيّة وتعدّد الآراء «وسوق الأفكار المتعارضة» يمكن أن تتابع ردود الفعل الهائجة على قرار ترامب. ليس هناك من نقاش، كما أنه ليس هناك نقاش حول صوابيّة الرأسماليّة. والآباء المؤسّسون ميّزوا في هندستهم للنظام السياسي بين «الجمهوريّة» و«الديموقراطيّة». وفي «الجمهوريّة» هناك من ركائز للنظام لا يمكن للأكثريّة ردّها أو عكسها كما في الديموقراطيّة (ولهذا فإن عمليّة تعديل الدستور هنا من أصعب العمليّات وهي تحتاج إلى أكثريّة الثلثيْن في مجلسَيْ النوّاب والشيوخ، بالإضافة إلى أكثريّة الثلثيْن في المجالس الاشتراعيّة في الولايات، ولم يمرّ من التعديلات منذ تأسيس الجمهوريّة أكثر من 27 تعديلاً فيما يعدّل لبنان دستوره مع انتخاب كل رئيس تقريباً).

الثورة على قرار ترامب لم تكن جديدة. يخوض الرجل حرباً ضروساً ضد أجهزة الأمن القومي في البلاد، خصوصاً أجهزة المخابرات (وعددها 17 جهازاً) والقيادات العسكريّة. والتسريبات اليوميّة ضد ترامب في الصحف الأميركيّة مصدرها في الغالب المخابرات الأميركيّة، خصوصاً «وكالة المخابرات المركزيّة» التي باتت صحيفة «واشنطن بوست» منبراً مفتوحاً لها، كي تُحرج الرئيس وتسهم في تغيير صورته أمام الرأي العام (وقد ثبتَ أن التسريب الأخير عن مكالمة الرئيس الأميركي مع الرئيس الأوكراني كان مصدرها عميلاً في المخابرات الأميركيّة، مفروزاً إلى البيت الأبيض). ولأنّ ترامب لا خبرة له في الحكم، فإنه استعدى مبكّراً أجهزة المخابرات عندما سخر منها ومن قدراتها ومعلوماتها، كما أنه قرّرَ مخالفة التقليد السائد في تلقّي تقرير شفهي يومي منها في البيت الأبيض. وغرّدَ ترامب عن موضوع التدخّل التركي وكتب أن هذه معركة قديمة بين الأتراك والكرد وأن لا شأن لأميركا بها. وأضاف كلاماً عن كلفة الحروب المادية، وللمرّة الأولى منذ شنّ الحروب الأميركيّة المتواصلة بعد 11 أيلول، ذكر ترامب الضحايا بالملايين «في الطرف الآخر» ــ في إشارة إلى الضحايا المدنيّين في العراق وأفغانستان وسوريا. هذا الذكر بديهيّ حول حرب مدمّرة لكن لم يسبق لرئيس أميركي (من أيّ من الحزبيْن) أن ذكر أسفاً عدد ضحايا العرب والمسلمين في الحروب الأميركيّة (والحكومة الأميركيّة توقّفت في هذه الألفيّة عن إعطاء تقرير رسمي عن تقديراتها للخسائر البشريّة للطرف الآخر في حروبها، وإن كانت لها تقديرات تبقيها سريّة ولا تعلنها للملأ ربما لأن الحروب الأميركيّة زادت وحشيّة وهي لا تريد من الرأي العام العالمي إدراك حجم الكلفة البشريّة لحروب التحرير ومكافحة الإرهاب الأميركيّة).

والصحافة الغربيّة تحسّنت كثيراً في السنوات الماضية ــ لا أعني من ناحية المهنيّة أو التغطية الحرفيّة للأحداث، لا، على العكس. فقد أصبحت الصحافة الغربيّة البارزة دعائيّة ومُوَجّهة وإعلانيّة بصورة صفيقة، واعتراضات ترامب ضد الصحافة تُقابل عند الليبراليّين وبعض اليساريين ــ هنا وهناك ــ بالاستهجان، لكن الصحافة باتت أبواقاً دعائيّة لأصحاب المليارات ومصالح اقتصاديّة عملاقة. «واشنطن بوست» باتت مجرّد بوق ناطق بمصالح الثري العالمي، جيف بيزوس، كما أن جريدة «المستقبل» كانت بوقاً لرفيق الحريري، ولابنه من بعده. الصحافة الغربيّة لم تعد تحاول تصنّع الحياديّة أو الموضوعيّة. كل من شخص واحد في دعوته. هو، تمثيلاً للحزب الجمهوري، يريد أن يوفّر في الإنفاق العسكري (المادي والبشري)، وقد فهم النظام السعودي. ولذلك أعلن ترامب متباهياً قبل أسبوع أن الحكومة السعوديّة ستتكفّل بنفقات النشر العسكري الأميركي كافة في الشرق الأوسط (أي إن النظام القطري والسعودي يتنافسان على كسب ودّ ترامب عبر التكفّل بالإنفاق على العدوان والاحتلال الأميركي). وهذه الرؤية الانكفائيّة تناسب ترامب ذا الأولويّة الربحيّة الاقتصاديّة في السياسة الخارجيّة. لكن ترامب يواجه فريقاً متراصاً، في داخل إدارته وفي خارجها، في داخل حزبه وفي الحزب المعارض. وهذا الفريق يمثّل «الدولة العميقة» التي كتب عنها أخيراً جيمس ستيوارت في كتاب جديد بنفس العنوان. ولو نجح الحزب الديموقراطي في إدانة ترامب (من دون عزله لأن ذلك يتطلّب موافقة ثلثيْ أعضاء مجلس الشيوخ، أي بموافقة نحو عشرين من الأعضاء الجمهوريّين وهذا من المستحيلات إلا إذا صدر تسريب جديد يهدّد صورة ترامب في داخل حزبه) فإن الفضل في ذلك ــ أو الملامة عند مناصري ترامب ــ يعود لأجهزة الاستخبارات التي تُسرّب ضد ترامب بصورة يوميّة (ممنوع أن تسترق أجهزة الاستخبارات، مثل «وكالة الأمن القومي» السمع على مكالمات ترامب الهاتفيّة لكنها تستطيع أن تسجّل مكالمات زعماء الدول الأجنبيّة الذين يتحدّثون إلى ترامب).

> **مشروع نشر القوّات الأميركيّة في الشرق الأوسط وأفريقيا لم يعد مرتبطاً بإدارة معيّنة بل أصبح من صلب عمل الإمبراطوريّة الأميركيّة**

لماذا ردّ الفعل المهتاج هذا في واشنطن ضد موقف ترامب من سوريا؟ يقول هؤلاء إن حسّهم الإنساني هو الذي يدفعهم إلى التعاطف مع الكرد في محنتهم في مواجهة التوغّل التركي. والكرد في الغرب يحظون بتعاطف (مزيّف طبعاً) لا تحظى به أقليّات أخرى. والفضل في ذلك يعود للقيادة البرزانيّة التي استثمرت العلاقات الوديّة مع العدوّ الإسرائيلي منذ السبعينيّات (على الأقل). واللوبي الإسرائيلي يهتمّ بالبروز في مظهر المدافع عن الكرد لإحراج الأنظمة العربيّة وإيران (بعد الثورة فقط). أما تركيا فقد اضطهدت الكرد أكثر من أيّ دولة أخرى، وقتلت منهم أكثر من أيّ دولة أخرى، وكانت في سنوات تحالفها مع إسرائيل لا تلقى النقد عن خروقاتها. على العكس، تمتّع حكم كنعان أفرين العسكري بأفضل العلاقات مع إدارة ريغان، وكان الصهاينة من أبرز المدافعين. لكن الاهتمام الغربي المفاجئ بوضع الكرد في مواجهة الاتراك يرجع لسبب غير مؤامرات بسيط: لم يعد اللوبي الإسرائيلي مدافعاً عن المصالح التركيّة، وبات أردوغان من دون معين في حملات العلاقات العامّة في الغرب. الكرد ضحايا حتماً، لكنهم ضحايا ليس فقط للحكومات التي اضطهدتهم وغمطت حقوقهم، مثل الحكومات العراقيّة والسوريّة والإيرانيّة والتركيّة، بل هم أيضاً ضحايا قياداتهم الرجعيّة التي لم تجد غضاضة في التآمر ضد الأكثريّات التي تعيش مع الأكراد.

من الرائج في خطاب الليبراليّين العرب (العاملين في منظمّات الـ«إن جي او») أو في المواقع العربيّة السياسيّة المنتشرة بالتمويل الغربي في فضاء الإنترنت) مناصرة الكرد. ومناصرة الكرد ليس لها من ثمن سياسي أو مادّي باهظ، بعكس مناصرة الشعب الفلسطيني التي تؤدّي مناصرته في الغرب إلى خسارة الوظائف وفي السعوديّة إلى السجن المؤبّد. تستطيع أن تكوني زوجة للرئيس الفرنسي وأن تكوني مناصرةً شجاعة للشعب الكردي (كما كانت زوجة فرانسوا ميتران). وتستطيع أن تكون دبلوماسيّاً أميركيّاً وأن تكون معروفاً بحملك للواء استقلال الأكراد (كما كان الدبلوماسي السابق، بيتر غالبريث، الذي طالب بتقسيم العراق ومنح استقلال ناجز للأكراد فيه ــ لكن غالبريث كان شريكاً في حقل نفطي في كردستان، فاختلط النفط بالإنسانيّة والحنان معاً) والا تدفع ثمناً سياسياً لمواقفك. على العكس، إن مناصرة الأكراد أو الأزيديّين هي بمثابة مناصرة دولة إسرائيل التي تقرّر للغرب ما الذي يجوز مناصرته في منطقتنا والذي لا يجوز (لا يجب أن يؤدّي الاستغلال الصهيوني لمعاناة حقيقيّة لـ«اقليّات» إلى معاداة حقوقهم). وبهذا يكون التعاطف الليبرالي العربي مع الكرد فرعاً من المناصرة الغربيّة الصهيونيّة ــ خصوصاً أن نفس هؤلاء من أعداء حقوق الشعب الفلسطيني في الاستقلال التام وفي حق الدفاع عن النفس، مثل موقف الأصل الغربي.

لكن التعاطف العربي مع الكرد يزداد صعوبة نتيجة التحالفات التي تعقدها القيادات الكرديّة العراقيّة أساساً، والكرديّة في سوريا. إن منطق التحالف مع «الشيطان» (والحديث عن الشيطان حديث لا يمكن محاججته لأنك تتحدّث عن كائن يؤمن به المؤمنون ويعجز غير المؤمنين عن المحاججة به، مع أن منطق المؤمنين في التحالف مع الشيطان يناقض إيمانهم) يُستعمل عندما تتحالف «اقليّة» سياسيّة أو دينيّة مع أعداء «الأكثريّة» (منطق الأكثريّات والأقليّات منطق قهري قمعي مُهيمِن). وحجّة الكتائب في التحالف مع إسرائيل كانت عينها حجّة الحاجة إلى الشيطان، لكن إلهمهم تخلّى عنهم. لكن تخلّي الإله عنهم لا يزعج أو يخلخل إيمان هؤلاء؟ القيادة البرزانيّة تحالفت مع إسرائيل وقدّمت خدمات موساديّة ضد العرب. وهذا النوع من التحالف يصم ليس القيادة المسؤولة عنه بل «الاقلية» الطائفيّة أو العرقيّة على ما في هذا التعميم من ظلم.

من تظاهرة للأكراد في مدينة ثيسالونيكي ـ اليونان (ساكيس ميتروليديس ـ أ ف ب)

لكن المجاهرة بالمطالبة بالاستقلال الكردي في أي من الدول العربيّة يلقى قبولاً في الغرب ومعارضة عند العرب (والميليشيات الكرديّة في العراق وفي سوريا لا تعير اهتماماً للحساسيات العربيّة فهي تقوم بالتهجير ضد العرب عندما يتسنّى لها ذلك). والغرب متشدّد نحو أي نزعة انفصاليّة في كياناته لكنه سخيّ جداً في توزيع أقاليم وصلاحيات في الكيانات العربيّة، إذا أدّى ذلك إلى تفتيت وتجزئة العالم العربي مهما كان الثمن (إن خلق كيان جنوب السودان كان كارثة إنسانيّة هائلة لكن المشروع كان إسرائيليّاً-أميركيّاً مشتركاً). الحكومة المركزيّة في واشنطن شنّت حملة وحشيّة ضد الانفصال الجنوبي في الحرب الأهليّة الأميركيّة، والجنرال شيرمان قاد حملات حرق وإبادة في الجنوب (في جورجيا وغيرها) من دون أي مسوّغ عسكري، وكان مقصده ثني الأجيال المقبلة عن مجرّد التفكير في معاودة حلم الانفصال. وأميركا هي المثال الذي يلهج بحمده دعاة الانفصال في عالمنا العربي. لا، القيادة البرزانيّة تريد الانفصال وتريد أيضاً التحالف مع أعداء العرب. أن وجود تحالفات حاليّة بين عرب وبين إسرائيل لا يعطي لا «الأقليّات» ولا «الأكثريّات» حق التحالف مع العدوّ (ومنطق الأقليّات والأكثريّات هو منطق القبائل البدائيّة للأقليّات والأكثريّات في غياب هويّات جامعة). إن حزب البعث (في فرعَيْه) ظلم الأكراد، كما ظلمهم الأتراك والفرس عبر التاريخ.

وتتحمّل قيادات «وحدات حماية الشعب» المسؤوليّة في تعبيرها عن أسأها من خذلان أميركي لثقتها المطلقة، وللمرة العاشرة بالوعود الأميركيّة للأكراد. وتنظيم «وحدات حماية الشعب» وضع آماله بالحلّ الأميركي وهو الآن يدفع ثمن هذا الخيار. الشعب الكردي وقياداته ليسوا مُسيّرين. و«قوات سوريا الديموقراطيّة» ليست إلا «وحدات حماية الشعب» باسم آخر يوحي بالتعدديّة العرقيّة الكاذبة. الأمر افتضح في مؤتمر في مؤسّسة أسبن في ولاية كولورادو في عام 2017 عندما اعترف الجنرال الأميركي، ريموند توماس، بأنه هو الذي أطلقَ اعتباطاً اسم «قوات سوريا الديموقراطيّة» على «وحدات حماية الشعب» للتخفيف من الشكوك التركيّة حول ارتباط «الوحدات» بحزب العمّال الكردستاني المكروه من الحكومة التركيّة. ضحك الجنرال توماس وهو يروي تلك الخدعة، التي انطلت (بامر عمليّات أميركي) في الإعلام العربي الذي لا يزال يتحدّث عن «قسد» على أنها تنظيم شامل وتعدّدي يجمع (مثل حلقات الدبكة) بين عرب وأكراد ومن ابتاعته قوات الاحتلال الأميركي. إن المحاولات الأميركيّة والخليجيّة لاستغلال معاناة الشعب السوري لم تتوقّف يوماً، وإن انتقلت من طوْر إلى طور، كما أن روسيا تحقّق من خلال تدخّلها في سوريا ما يروق لها من مصالح لا علاقة لها بمصلحة الشعب السوري. وهي تفعل ذلك، مع مراعاة فائقة لمصالح دولة العدوّ التي تتمتّع بتأييد فريد في عدوانها، من الطرف السوري والأميركي.

القيادة الكرديّة (اليساريّة، على ما يُقال لنا) تنتحب على انسحاب المحتل الأميركي وتهدّد بالتواصل مع النظام السوري. هنا مرّة أخرى، تظهر قيادة سياسيّة كرديّة بصورة انتهازيّة تتعامل فيها مع أطراف متنازعة من دون أي التزام بمبادئ معيّنة. وباتت القيادة الكرديّة في سوريا تربط مصالحها السياسيّة ببقاء الاحتلال الأميركي، كما أن القيادة البرزانيّة في العراق كانت تفضّل بقاء الاحتلال الأميركي إلى ما لا نهاية. لكن ما طبيعة المشروعيّة السياسيّة لهذه الأطراف كلّها في الصراع السوري (من النظام إلى المعارضات، العربيّة والكرديّة) إذا كان وجودها يرتبط بتدخّلات خارجيّة من أطراف ليست بالضرورة متعاطفة مع الشعب العربي؟

إن مشروع استمرار الاحتلال الأميركي لبلادنا يستمرّ. ومشروع الترويج له بأفواه وأياد محليّة يتعاظم. الصحافة الأميركيّة تزخر هذه الأيام بمقالات لأفغان يطالبون فيها الاحتلال الأميركي بالاستمرار. والمطالبة تجري (كما الاستعمار في القرن التاسع عشر والعشرين) بأبهى الشعارات عن التحرير والمساواة والديمقراطيّة طبعاً. وارتباط الصحافة الأميركيّة البارزة باجندة أجهزة الاستخبارات يتسرّب (عن قصد وعن جهل وعن تقليد ببغائي وليس بالمجّان دائماً) في الصحافة العربيّة وعلى مواقع التواصل. هؤلاء يشكّلون لوبي الحرب الدائمة ضد ترامب. ولأن الرجل بذيء ومبتذل وسوقي وجاهل ونزق ونرجسي، فإن معارضة كلّ ما يفعله يكون سهلاً، حتى عندما تكون مواقفه هي الصائبة، كما هي في الانسحاب من العراق.

ويظهر التناقض في المعارضة لقرار ترامب، نفس الذين روّجوا وسوّقوا لـ«الجيش السوري الحرّ» يكيلون له الاتهامات بارتكاب جرائم حرب (في زي ما أسمته تريكا بـ«الجيش الوطني»). المراسلون والمراسلات الغربيّات في بيروت كانوا أوّل مَن تبنّى «الجيش السوري الحر» وكتب المقالات الطوال عن ديموقراطيّته وإنسانيّته ونسويّته. تغيّر الأمر بعد التدخّل التركي الأخير (والتدخّل التركي في سوريا كان يحظى بتأييد وتعاطف في الغرب من قبل) وأصبحت «واشنطن بوست» تقول عنه أنه «لا يُعتمد عليه» و«مجنون». هذا «الجيش» كان يُعوّل عليه لتحرير سوريا، وكان الساسة في أميركا، أبرزهم جون مكين (الذي قال عنه وائل غنيم مؤخراً إنه يكنّ له كل الاحترام)، وهو من عتاة كارهي العرب والمسلمين من ليكودي واشنطن، يتقاطرون إلى شمال سوريا للقاء قادة «الجيش السوري الحرّ». نفس هؤلاء الساسة باتوا يصفون عناصره بمجرمي الحرب.

يصعب على دعاة أميركا في بلادنا الاعتراف بذلك: أميركا تلقّت هزيمة شنيعة في العراق وفي أفغانستان. ويصعب على الهيئات السياسيّة والإعلاميّة السائدة في واشنطن تقبّل فكرة هزيمة أميركا. قد يكون ترامب وحيداً في أنه اعترف بهزيمة أميركا في العراق مبكّراً، وهو لا يريد إلحاق هزائم أخرى جديدة بها. لكن كما أن للنصر الاستعماري أبناءه، فإن للهزيمة الأميركيّة في الشرق الأوسط أيتامها.

> **نفس الذين روّجوا وسوّقوا لـ«الجيش السوري الحرّ» يكيلون له الاتهامات بارتكاب جرائم حرب**

* كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)



# أوّل الغيث: جمرة حرائق لبنان ليست استثنائيّة

**ريان الرمّال ***

إنّ الجريمة الأكبر التي يتمّ اقترافها أمام الحدث الكارثي الذّي ألمّ بلبنان مطلع هذا الأسبوع من حرائق طالت مساحات حرجيّة واسعة هي إضافتها إلى سيناريو «استثنائيّة لبنان» وسلخها عن الكوارث الطبيعيّة العالميّة التي تحدث بسبب التغيّر المناخيّ. إذ لام أغلب المعلّقين والمعلّقات على الحدث (ولهمْ/نّ الحقّ الكامل بذلك) الطبقة السياسية الفاسدة التي لم تموّل مشاريع مراقبة الأحراج وحمايتها أو صيانة طائرات الـ«سكورسكي»، أو لم تعلن حالة الطوارئ للحدّ من استشراء النيران. كلّها مطالبات محقّة، لا بل ضروريّة، لكنها لا تكفي. إنّ النيران التي التهمت أشجارنا هذا الأسبوع ليست خطأً فجائيّاً أو حدثاً استثنائيّاً، إنّها النتيجة «الطبيعيّة» لعقود من الانتهاكات البيئيّة في لبنان (كسّارات، تلوّث أنهار، تلوّث هواء، صيد عشوائيّ...) ومستمّرة (كمشروع سدّ بسري مثلاً) وهي أيضاً نتيجةٌ طبيعيّة للسياسات العالميّة في التوسّع الرأسماليّ والجشع في استغلال الموارد البيئيّة ونهبها، كما أنّها نتيجة طبيعيّة للانتولوجيا الشائعة القائلة بتفوّق الجنس البشريّ على غيره من شركائه على هذا الكوكب، والتي تعلّمنا أنّ حياتنا أثمن من حياة أيّ نبتةٍ أو حيوانٍ آخر.

من الجيّد أن تُسهم الحرائق في لبنان في زيادة نقطة ماء إلى كيل صبرنا على فساد حكّامنا علّه يطوف، لكن من الخطير أن لا ننظر أبعد من أنفنا وأن نتعامل بآنيّةٍ واهيةٍ معها. حرائق لبنان هذه السنة ليست استثنائيّة، وللأسف لن تكون كذلك، قد تتجدّد العام المقبل والعام الذي يليه، وستزيد قسوتها ومساحات امتدادها عاماً بعد عام، لأنّ الاحتباس الحراريّ حقيقةٌ عالميّة تلهينا عوالمنا الضيّقة عن الإلمام بها. حرائق لبنان ليست منفصلةً عن حرائق غابات الأمازون المؤلمة التي وقعت في آب الماضي، ولا عن حرائق ولاية كاليفورنيا هذا العام أيضاً، والتعاطي معها على أنها كذلك سيشلّنا عن القيام بأيّ تغيير حقيقي.

تتزايد حرائق الغابات الهائلة حول العالم في حدّتها وتواترها بسبب ازدياد حرارة الأرض، إذ إنّ العديد من الدراسات توقّعت أنّ كلّ ارتفاع بمعدّل درجة مئويّة واحدة سيزيد مساحة الغابات المحروقة بنسبة 600% ! ومنذ عام 1880، ارتفعت حرارة الأرض 0,8 درجة مئويّة بحسب مرصد ناسا الأرضيّ. ومن هنا شهدت مناطق مثل أستراليا، إندونيسيا، أميركا الشماليّة الوسطى والجنوبيّة، أوروبا الغربيّة، حرائق غابات مهولة في السنوات الأخيرة. مع تزايد حرارة الأرض، أيّام الصيف أصبحت أكثر حرّاً، وموجات الحرّ أكثر طولاً وأكثر تكرّراً وأنماط هطول الأنماط أكثر عشوائيّةً. يُساعد هذا الجفاف على جعل الغابات عرضةً لغزو الحشرات التي تضعف الأشجار وتجعلها أكثر عرضةً للاشتعال. كذلك فإنّ التغيّر المناخيّ يسبّب عقم التربة، ما يصعّب عليها التعافي السريع بعد الحرائق. كما تزيد الحرائق في نسب ثاني أوكسيد الكربون في الهواء، ما يُفاقم الاحتباس الحراريّ في حلقةٍ من التغذية الراجعة.

> **ليست الدولة اللبنانيّة فقط من يجب أن يُجرّم، بل الكثير من المعتقدات التي نحملها أيضاً عن هذا الكوكب**

وعلى الرغم من أنّ أغلب الحرائق سببها الإنسان (فمثلاً 80% من الحرائق في الولايات المتّحدة سببها بشريّ)، لكنّ التغيّر المناخيّ، أي زيادة حرارة الكوكب وجفافه، يجعلها تمتدّ بشكلٍ كارثيّ. إذاً، حتّى لو تبيّن أنّ حرائق لبنان مفتعلة، إلّا أنّ التغيّر المناخي يجعل السيطرة عليها شبه مستحيل.

إنّ التوقّعات المستقبليّة محبطة. فبحلول منتصف القرن الحاليّ، أي بعد حوالى ثلاثين سنة، قد تزيد رقعة المناطق التي تطالها الحرائق بمعدّل ستّ مرّات ممّا هي عليه حاليّاً. كذلك فإنّ التغيّر المناخيّ سيؤثّر في نموّ الكثير من الأشجار ورقع انتشارها (شجر الأرز اللبنانيّ مهدّد بالانقراض مثلاً، لأنّ نموّه في المناطق المنخفضة سيصبح أصعب بسبب موجات الحرّ).

هذه المرّة، ليست الدولة اللبنانيّة فقط من يجب أن يُجرّم، بل الكثير من المعتقدات التي نحملها أيضاً عن هذا الكوكب. فالسياسات اليمينيّة المتطرفة، والجشع الرأسمالي، وأنماط استهلاكنا غير المدروسة، وغرورنا البشع الذي يوهمنا بأننا أكثر استحقاقاً من الكائنات الأخرى للعيش، كلّها يجب أن تُحاكم أمام خسارةٍ مُفجعة كهذه وأمام دراساتٍ تؤكّد أنّ المستقبل لن يكون أرحم.

كما عرّت النيران الأشجار من ورقها، عرّتنا من ورق التين الذي نخفي فيه عنجهيّتنا كبشر على باقي المخلوقات. في لبنان كما في كلّ العالم، الإنسان يبقى الكائن الأكثر تكبّراً أمام شركائه على الكرة الأرضيّة. الأحداث البيئيّة كهذه، على رغم كارثيّتها أو بسببها، هي دعوةٌ مهمّة لأن نراجع أنتولوجيّاتنا كبشر. هل حياتنا أثمن فعلاً من حياة الشجرة التي قُتلت في لبنان يوم الثلاثاء؟

* طالبة ماجستير في الأنتروبولوجيا في الجامعة الأميركيّة في بيروت

**سوريا**

لم يدخل الاتفاق الاميركي - التركي على وقف إطلاق النار في شرق الفرات حيّز التنفيذ بعد. على رغم الإعلان عن بدء سريانه ليل الخميس - الجمعة. إذ استمرّت جولات القصف التركية على مدينة راس العين وريفها، بالتوازي مع دخول الجيش السوري مناطق جديدة في ريف الحسكة. باتجاه راس العين. في غضون ذلك، اعلن «البنتاغون» أن الأميركيين سيواصلون انسحابهم من المنطقة، ولن يكونوا جزءاً من «المنطقة الآمنة»

# تركيا تخرق وقف إطلاق النار قبل سريانه

## لا انتشار أميركياً في «المنطقة الآمنة»

ثبّت الجيش السوري نقاطاً جديدة له في عين العرب باتجاه ارياف الرقة شرقاً (أ ف ب)

لم يلتزم الجيش التركي، والفصائل السورية المدعومة منه، بما أعلنته أنقرة وواشنطن أمس من اتفاق على تعليق العمليات العسكرية ضمن عملية «نبع السلام». إذ شهدت مدينة رأس العين وريفها جولات من القصف العنيف، توازياً مع تسلّل برّي إلى بلدة أبو راسين جنوب المدينة. وتزامنت الانتهاكات التركية للاتفاق مع إزالة الجدار الإسمنتي الحدودي في القرى الشرقية لرأس العين، وتكثيف الهجمات في الجهة الشمالية والغربية، وصولاً إلى المشفى الوطني في الجنوب الشرقي للمدينة. وفي هذا السياق، يقول مصدر ميداني كردي لـ«الأخبار» إن «قواتهم تصدّ هجمات عنيفة من الجيش التركي والمرتزقة على مدينة رأس العين وأريافها»، مؤكداً أنهم «لا يزالون يبدون مقاومة كبيرة في المدينة، وهي في غالبية أحيائها تحت سيطرتهم». وبلغت المصدر إلى أن «القصف طاول المشفى الوطني والمراكز الطبية، وهو ما يؤدي إلى صعوبة إسعاف المدنيين والمقاتلين في المدينة». وتعليقاً على استئناف العمليات العسكرية، قال الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، إن «قنّاصة أطلقوا بعض النيران هذا الصباح (أمس)»، كما «أطلقت قذائف مورتر (هاون). ثم وقف ذلك سريعاً. وعادوا لوقف القتال بشكل كامل». كما أمل وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، أمس، أن «يتم احترام اتفاق وقف إطلاق النار».

> يستهدف التصعيد التركي إسقاط مدينة راس العين، ثم ربطها بمناطق سيطرة أنقرة في تل أبيض

ويستهدف التصعيد التركي، على ما يبدو، إسقاط مدينة رأس العين، ثم ربطها بمناطق سيطرة أنقرة في تل أبيض، لرسم حدود «المنطقة الآمنة» المنشودة، والتي ستكون تحت السيطرة التركية على امتداد الطريق بين رأس العين وتل أبيض. وامتدت الانتهاكات التركية، أيضاً، إلى طريق تل تمر - الحسكة، من خلال استهداف مدفعي طاول قافلة مدنية كانت تتجه إلى رأس العين، في ظلّ تحليق لطائرات استطلاع تركية فوق مدينة المالكية وريفها، شمال الحسكة. وأدى القصف الجوي والمدفعي التركي، أمس، إلى مقتل 8 مدنيين منهم 5 في قرية باب الخير، و3 في قرية زركان في ريف رأس العين، مع الإعلان عن انتشال 16 جثة في قرية مشرافة جنوب رأس العين. وبالتوازي مع استمرار الهجمات التركية، ثبّت الجيش السوري نقاطاً جديدة له في عين العرب باتجاه أرياف الرقة شرقاً، تمهيداً لانتشار إضافي في المنطقة، بعدما دخل مزيداً من القرى بين تل تمر ورأس العين في ريف الحسكة.

> يستهدف التصعيد التركي إسقاط مدينة رأس العين، ثم ربطها بمناطق سيطرة انقرة في تل ابيض

ووسط استمرار الهجمات التركية حتى عصر أمس، أصدرت «الإدارة الذاتية» لشمال وشرق سوريا بياناً أكدت فيه «التزامها التام بتنفيذ قرار وقف إطلاق النار»، مشيرة إلى أن «تركيا لم تلتزم بالاتفاق واستهدفت بعض المناطق في شمال وشرق سوريا، وخاصة في مدينة رأس العين». ورأى البيان أن «اتفاق وقف إطلاق النار يفوّتُ على تركيا ما كانت تريد تحقيقه بإجراء سياسة التطهير العرقي والتغيير الديموغرافي لمكوّنات المنطقة، كما يُفوّت عليها احتلال المزيد من الأراضي السورية». وأشار إلى أن «الاتفاق سيشمل فقط المنطقة الممتدة بين رأس العين وتل أبيض، مع ضمان عودة جميع النازحين إلى مناطقهم». من جهته، اعتبر القيادي الكردي في «حركة المجتمع الديموقراطي»، إلدار خليل، في تصريحات إلى وسائل إعلام كردية، أن «فترة وقف إطلاق النار مهمة لمناقشة كل شيء مع الأميركيين، خاصة الأمور المتعلّقة بمستقبل المنطقة ومن سيديرها»، مضيفاً أن «وقف إطلاق النار لن يتعارض مع اتفاقنا مع الروس والنظام على الانتشار على الحدود وحمايتها». أميركياً، أكد وزير الدفاع، مارك إسبر، أن قوات بلاده لن تشارك في إقامة «المنطقة الآمنة» في شمال سوريا، مضيفاً أن «الولايات المتحدة تواصل انسحاباً مدروساً من شمال شرق سوريا». جاء ذلك في وقت أورد فيه التلفزيون السوري الرسمي خبراً عن «انسحاب 50 جندياً من قوات الاحتلال الأميركي من مطار رحبية (روباريا) غير الشرعي في ريف المالكية في ريف الحسكة، إلى العراق». في خضمّ ذلك، يظهر أن ثمة تبايناً في وجهات النظر بين دمشق والأكراد، فالأخيرون يريدون انتشاراً سريعاً للجانب الحكومي في رأس العين ودخوله المعركة ضد الأتراك، فيما لا تزال وحدات الجيش في حالة جاهزية للانتشار من المالكية وحتى الدرباسية في ريف الحسكة. وربّما يهدف الجيش السوري، من خلال إتمام الانتشار في الشريط الحدودي الشمالي للحسكة، إلى تأمين 240 كم على امتداد الحدود بين المالكية ورأس العين وحمايتها من أي توسّع تركي، تمهيداً لإيجاد آلية للتعامل مع المناطق التي احتلّها الأتراك في عمليتهم الأخيرة. وعلى رغم عدم اتضاح الموقف بشكل كامل، إلا أن ما بات محسوماً هو أن الجيش سيتابع انتشاره في مناطق إضافية على الحدود، الأمر الذي لن يعارضه الجانب التركي، تماماً مثلما حصل في منبج وعين العرب. لكن الانتشار قد يصطدم بإصرار الأكراد على استمرار نشر مقاتليهم إلى جانب نقاط الجيش، وهو أمر يُرجّح أن تعمل روسيا على حسمه، وتثبيت واقع جديد على الحدود. وفي هذا الإطار، يبدو لافتاً ما قاله الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، من أن «بلاده لا يزعجها انتشار النظام السوري في المناطق التي كانت تسيطر عليها التنظيمات الكردية»، وتأكيده أنهم «يعملون على الوصول إلى حل مقبول مع روسيا في ما يتعلق بالمنطقة الآمنة»، وأن «القوات التركية لن تنسحب من المناطق التي دخلت إليها شمال سوريا». تصريحات أردوغان هذه رمت الكرة في ملعب الروسي، الذي يبدو أنه سيلعب الدور الرئيس في التنسيق بين الجانبين التركي والسوري، وأيضاً بين الحكومة السورية والأكراد، للاتفاق على صيغة توقف العملية، لصالح بسط الحكومة السورية سيطرتها على مناطق «قسد» على الحدود.

(الأخبار)

**ليبيا**

# مسودّة اتفاق برعاية إيطالية لحلّ «أزمة مرزق»

بعد أسابيع من التفاوض، توصّلت مكونات مدينة مرزق في جنوب غرب ليبيا إلى توقيع اتفاق مبدئي، برعاية إيطالية، يُنهي الصراع المستمر في المدينة منذ دخول قوات خليفة حفتر إليها، وما أعقبه من عمليات إماراتية أدّت إلى اقتتال أهلي

دخلت قوات خليفة حفتر إلى مدينة مرزق نهاية شهر شباط/ فبراير الماضي، بعد معارك دامية مع «قوة حماية الجنوب» الموالية لحكومة «الوفاق الوطني» المتمركزة في طرابلس. مباشرة بعد ذلك، انطلقت في المدينة عمليات انتقامية، أدت إلى حرق حوالي 90 منزلاً وعمليات تهجير. على مدى الأشهر التالية، شهدت مرزق هدوءاً حذراً، اخترقته نزاعات بين الحين والآخر. لكن، مع شنّ طيران إماراتي مسيّر سلسلة غارات، قبل شهرين، أدت إلى مقتل حوالي 45 مدنياً، عادت حالة الاقتتال. بزّرت قوات حفتر ذلك الهجوم باستهداف مجموعة مسلحة تتبع «قوة حماية الجنوب»، إلا أنه بحسب شهود عيان أودت الغارات بحياة مجموعة كانت تحضر حفل زفاف وجاءت لإغاثة قتلى الغارة الأولى. وينتمي ضحايا الغارات إلى إثنية التبو، الذين يشكلون أغلبية ضمن المدينة وينحدر منهم أغلب مقاتلي «قوة حماية الجنوب». وأدى الاستهداف الإماراتي إلى موجة انتقامية، أودت بحياة حوالي 100 شخص وتسبّبت بتهجير الآلاف إلى البلدات المجاورة، أغلبهم من «الأهالي» (وهم مجموعة تتحدث العربية وتمثل أقلية داخل مرزق).

في محاولة لحلّ هذا الصراع الأهلي، استدعت الإمارات وفداً من التبو للتفاوض، توازياً مع إحضارها الناطق الرسمي باسم قوات حفتر، اللواء أحمد المسماري، للغرض نفسه. عرضت أبو ظبي على التبو اتفاقاً من خمسة بنود مقابل إعلان ولائهم لحفتر. ويقضي الاتفاق بوقف التحريض الإعلامي ضدهم، وتولّي الإمارات صرف تعويضات عن الخسائر في المدينة، ومنحهم مناصب قيادية ضمن تشكيلات أمنية جديدة مع توفير ضمانات، وفي حال رفضوا العرض سيستمر القصف الجوي عليهم (راجع: الأخبار عدد 3858). رفض أغلب التبو العرض الإماراتي، بعد تباحثهم إياه في اجتماعات شعبية. وبدلاً من ذلك، تمّ التوجه إلى رفع

> انتهت المحادثات بتوقيع «مذكرة حسن نوايا» بين الطرفين تشمل 6 بنود وآليات للمتابعة

قضية في محكمة العدل الدولية، والتشهير بحفتر والإمارات في المؤسسات الدولية. وشنّ قياديون من التبو، بينهم عيسى عبد المجيد، حملة في الإعلام وفي لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، اتهموا فيها الإمارات بقصفهم والتحريض عليهم في قنوات تلفزيونية ليبية تموّلها.

بالموازاة، دخلت إيطاليا على خطّ البحث عن حلّ، خاصة وأن لها سوابق في التوسّط في قضايا تخصّ مدن جنوب ليبيا. وصل وفدا التبو و«الأهالي» إلى روما بداية هذا الأسبوع، وتولّت الحكومة الإيطالية ومنظمة «أراباتشي للسلام» الجمع بينهما. انتهت المحادثات أول من أمس بتوقيع «مذكرة حسن نوايا» بين الطرفين تشمل ستة بنود وآليات للمتابعة والتزامات مستقبلية. و«الأخبار» اطّلعت على نسخة من المذكرة، تحمل توقيع ممثل عن وفد أهل مرزق العرب، وهو علي محمد شمسي، وممثل عن وفد تبو مرزق، وهو السنوني أجي صالح توكة، وتشمل بنودها:

- الكشف عن المخطوفين والمفقودين ومعرفة مصيرهم وتسليمهم إلى ذويهم
- تشكيل لجنة تقصّي حقائق ملزمة للطرفين، وتمكين المؤسسات الحقوقية ووسائل الإعلام المحلية والخارجية من الدخول إلى المدينة للوقوف على الحقائق
- تمكين لجنة فنية متخصصة لحصر الأضرار التي لحقت بالممتلكات العامة والخاصة
- اتخاذ كل التدابير اللازمة لتسهيل عودة النازحين إلى بيوتهم
- وقف جميع الأعمال العدائية التي تطاول المدنيين وممتلكاتهم ووقف خطاب الكراهية
- تشرف لجنة (تُكوّن لهذا الغرض) على تقديم الخدمات المصرفية في أماكن النزوح حتى عودتهم.

أما آليات متابعة تنفيذ المذكرة والالتزامات، فتشمل:

- تشكيل لجنة ثلاثية للمتابعة بين الطرفين والجهة الراعية
- التزام الطرفين بالبدء في مسار حوار بناء والوصول إلى اتفاق نهائي للتعايش السلمي
- في حالة تنفيذ بنود التفاهم تتم الدعوة إلى عقد جولة تفاوض نهائية
- ترعى الحكومة الإيطالية ومنظمة «أراباتشي للسلام» الحوار المقبل، مع إشراك بعض أعيان وحكماء منطقة فزان (جنوب غرب ليبيا) وبعض الشخصيات المهتمة بالشأن.

كان أغلب التبو قد رفضوا عرضاً إماراتياً لإنهاء النزاع في مدينتهم (أ ف ب)



**تقرير**

# إسرائيل تثبّت الاعتقال الإداري على هبة اللبدي

## الأردن عاجز عن استعادة أبنائه

في جلسة مغلقة لمحكمة «عوفر» العسكرية، صدر القرار بتثبيت الاعتقال الإداري لخمسة أشهر في حق الأسيرة الأردنية - الفلسطينية هبة اللبدي، على رغم إضرابها عن الطعام لأكثر من 25 يوماً. ما يعني أن الجهود الأردنية لإطلاق سراحها باءت بالإخفاق

عمان ـ **اسماء عواد**

لم تفلح الجهود التي بذلها الأردن لحلّ قضية مواطنته هبة اللبدي (24 عاماً)، والتي أسرها العدو الإسرائيلي في 20 آب/ أغسطس الماضي عند «معبر الكرامة»، أثناء توجهها إلى فلسطين المحتلة في زيارة عائلية، كونها تحمل الهوية الفلسطينية أيضاً. خلال التحقيق، تعرضت اللبدي لتعذيب قاس، وفق إفاداتها لمحامية شؤون الأسرى والمحررين، إذ كان يتمّ استجوابها لساعات طويلة في الأيام الـ16 الأولى (من التاسعة صباحاً حتى الثانية فجراً) لانتزاع اعتراف منها بالتهم الموجّهة إليها، وهي «تهم فضفاضة» تتعلق بـ«أمن إسرائيل». ومنذ البداية، هدّدها المحققون بالاعتقال الإداري مع تخويفها بصلاحية المحكمة بتمديده كل ستة شهور على مدى سبع سنوات ونصف سنة، ومن بعدها منعها من الرجوع إلى الأردن وإبقائها تحت المراقبة في الضفة المحتلة مع منع أهلها من زيارتها.

طوال فترة التحقيق، مُنعت هبة من لقاء محام أو حتى التواصل معه هاتفياً، ولم يكن تحويلها إلى الاعتقال الإداري إلا دليلاً على صمودها ورفضها الاعتراف بأيّ تهمة. ووفق مصادر مُعنية بالملف، تتعرض اللبدي جرّاء ذلك لظروف اعتقال مهينة في سجن «الجلمة»، ولذا أعلنت منذ تحويلها إلى «الإداري» إضراباً مفتوحاً عن الطعام، أدى إلى تدهور حالتها الصحية، مع انخفاض كبير في وزنها. حاول طاقم الدفاع، في جلسة تثبيت الحكم الإداري الأربعاء الماضي، اقتراح عودتها إلى الأردن، بما يعني إفراغ التهمة العامة الموجّهة لها - أي «تهديد أمن إسرائيل» - من مضمونها، لكن المحكمة العسكرية رفضت هذا الاقتراح. ووفق المصادر، لو كانت أيّ من التهم المُوجّهة إلى الأسيرة صحيحة، لتعرضت لاستدعاءات أمنية في عمّان أصلاً، الأمر الذي لم يحدث، خاصة أنه لا نشاط سياسياً لها. وبعد تثبيت الحكم، قالت الخارجية الأردنية إن التصديق على الاعتقال الإداري للمواطنة اللبدي هو «حكم باطل وغير مقبول ومرفوض»، مطالبة بـ«الإفراج الفوري عنها»، علماً أنه سبق لمسؤولين في السفارة الأردنية لدى تل أبيب أن التقوا هبة في سجنها لكن من دون نتيجة.

اللبدي لم تكن الأردنية الوحيدة التي اعتُقلت أخيراً، إذ أقدم العدو بالطريقة نفسها وفي المكان عينه على اعتقال عبد الرحمن مرعي (29 عاماً) أثناء توجهه إلى فلسطين في العشرين من الشهر الماضي. ووجّهت المحكمة العسكرية، بداية، تهمة حضور ندوة داعمة للقدس ضد مرعي، نفى الأخير حضورها، فيما خرج القاضي الذي حوّل عبد الرحمن إلى «الإداري» في ثاني جلسات محاكمته (نهاية الشهر الماضي) بتهمة جديدة مفادها أن الأسير «قد يشكل خطراً على إسرائيل في المستقبل». ومثلما حصل للبدي، تتّخذ مرعي في الثالث والعشرين من الشهر الجاري جلسة محاكمة جديدة سيصدر خلالها حكم نهائي بالتثبيت، هدّد مرعي، وهو مريض بالسرطان منذ عشر سنوات، بخوضه إضراباً في حال صدوره. وتقول عائلة عبد الرحمن إن ابنها قابع في سجن «عوفر» وممنوع من مهاتفتها، لكن أسرى آخرين تبرعوا بمواعيد اتصالاتهم بذويهم ليخبروها بإصابته بمرض جلدي نادر.

> الأسير الثاني المعتقل حديثاً عبد الرحمن مرعي مُصاب بالسرطان منذ سنوات

من جهتها، استدعت وزارة الخارجية الأردنية القائم بأعمال السفير الإسرائيلي لدى عمّان، وسلّمته مذكرة احتجاج على اعتقال اللبدي ومرعي، طالبت فيها بـ«توفير ظروف احتجاز ملائمة لهما، ومراعاة الإجراءات القانونية السليمة بما يتفق مع القانون الدولي». كذلك، طُلب من السفارة الأردنية لدى تل أبيب إجراء زيارات دورية لهما في أماكن اعتقالهما، لكن السلطات الإسرائيلية لم تستجب لأيّ من مطالب عمّان. وإذ يصعب القول إن اعتقال مرعي واللبدي جاء في وقت غير مناسب للعلاقات بين الطرفين، بالنظر إلى أن قضية الأسرى الأردنيين في سجون العدو ليست جديدة (باعتقال مرعي وصل عددهم إلى 22 أسيراً وأسيرة، سبعة منهم من ذوي الأحكام العالية، أي من تسعة مؤبدات حتى 36 سنة)، إلا أن التصعيد الإسرائيلي يثير تساؤلات عن تعمّد إحراج الأردن، ولاسيما في ذكرى توقيع «اتفاقية السلام» (تحلّ في السادس والعشرين من الشهر الجاري).

حتى الآن، تفضّل المملكة الأطر الدبلوماسية، وتتجنب التصعيد واستخدام أوراق الضغط التي لديها، ابتداءً من سحب السفير الأردني وإعادته إلى عمّان (آخر مرة استدعى الأردن سفيره كانت عام 2015 ولثلاثة شهور)، أو الطلب من البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية المغادرة، أو حتى التلويح بتجميد العمل بالاتفاقات المشتركة، خصوصاً أنها في موقع قوة ولا تهم ملموسة في حق مواطنيها هذه المرة. في المقابل، يظهر العدو الإسرائيلي أنه يتعامل مع اللبدي ومرعي وغيرهما من الأسرى الأردنيين بوصفهم فلسطينيين، مع أنهم من حَمَلة الرقم الوطني الأردني وبطاقة إحصاء الجسور الصفراء إلى جانب الهوية الفلسطينية، وهؤلاء لا توجد إحصاءات علنية رسمية بخصوصهم في المملكة، لكن تقدّر أعدادهم بربع مليون شخص. وتجدر الإشارة إلى أن كثيرين من موظفي السلطة الفلسطينية، ومن بينهم رئيسها محمود عباس، يحملون الجنسية الأردنية والهوية الفلسطينية في آن، لكن مع ذلك لم تحرّك السلطة ساكناً تجاه قضية اللبدي ومرعي بوصفهما فلسطينيين أصلاً.

الاهتمام الشعبي الكبير بقضية اللبدي على وجه الخصوص زاد الضغوط على عمان، وفي الوقت نفسه أعاد تسليط الضوء على قضية المعتقلين الإداريين عامة، والأسرى الذين يخوضون إضراباً عن الطعام بعيداً عن أيّ اهتمام إعلامي بهم، وهم إضافة إلى هبة: أحمد غنام (98 يوماً على التوالي)، إسماعيل علي (91 يوماً)، طارق قعدان (81 يوماً)، أحمد زهران (27 يوماً) ومصعب الهندي (26 يوماً).

**ما قل ودل**

استشهد، مساء أمس، شاب فلسطيني برصاص العدو الإسرائيلي، عند حاجز جبارة جنوبي طولكرم شمال الضفة المحتلة، بدعوى محاولته تنفيذ عملية طعن. وأفادت وزارة الصحة بأن «الارتباط الصحي الفلسطيني» أبلغها باستشهاد مواطن، لم تُعرف هويته حتى المساء، عقب إطلاق النار عليه. وأذعت وسائل إعلام عبرية أن الشاب ركض باتجاه الجنود على الحاجز وهو يحمل بيده سكيناً. أما في غزة، فأفادت وزارة الصحة بأنها تعاملت مع 69 إصابة، منها 26 بالرصاص الحي، جراء اعتداء الاحتلال على المتظاهرين شرق قطاع غزة، في الجمعة الـ79 من «مسيرات العودة»، والتي حملت عنوان «لا للتطبيع».

(الأخبار)

لم تفلح المحاولات الأردنية «الناعمة» حتى في تحسين ظروف اعتقال الأنيس (من الويب)

قضية «سدّ النهضة»: العجز المصري

# خطر الفقر المائي يقترب لا حيلة بيد الدولة

العجز، هو كلّ ما يمكن أن يعبّر عن الحالة المصرية في ملف سدّ النهضة الإثيوبي. فلا العمل العسكري، بغضّ النظر عن القدرات الفعلية على ذلك، يُجدي نفعاً على المديين القريب والبعيد، ولا الرهان على واشنطن تظهر منه أيّ ثمار، خاصة مع ما عُهد من دونالد ترامب. سنوات، بل عقود، من الإهمال للملف الافريقي عامة، تكلّلت بإهمال في قضية «النهضة» التي سُحبت من جحر وزارة الخارجية لتتسلّمها المخابرات. حتى التقارير التي كانت تُرفع إلى عبد الفتاح السيسي من مستشارته حول هذا الملف لم تكن تصله كاملة، بعيداً عن مدى الحقد الإثيوبي في تحديد آليات تشغيل السدّ. أظهر السلوك التفاوضي المصري حقيقة موقع القاهرة الإقليمي، والذي لا تزال تتغنّى به، فحتى على صعيد القارة الافريقية، لم تستطع، لا في ظلّ وجودها في الاتحاد الافريقي ولا خارجه، أن تكوّن لنفسها مكانة تستطيع من خلالها فرض الجزء اليسير مما يضمن لها سلامتها من خطر يمسّ امنها القومي، الذي - للمفارقة - لطالما شكّل شماعة لتبرير سياسات النظام القمعية. اليوم، أكثر من مئة مليون مصري مهدّدون بالعطش، فيما أزمة حادّة تتهدّد الإنتاج الزراعي والطاقة الكهربائية. وسط ذلك، لا يملك السيسي سوى القول إنه ليس سبب الأزمة، بل ثورة المصريين في 2011... في انتظار سيناريو من اثنين: العطش، ليزيد سيبّاً إلى اسباب موت المصريين، او الانجرار إلى حرب لم يعد تصوّرها مستحيلاً!

(الأخبار)

يتحمل مبارك مسؤولية كبيرة جزاء إهماله الملف الافريقي لعقدين (أي بي أيه)

«المسألة الوجودية التي يمكن أن تزجّ مصر في الحرب مرة أخرى هي المياه». عبارةٌ قالها الرئيس الراحل، أنور السادات، قبيل أيام من توقيعه اتفاقية كامب ديفيد مع إسرائيل. هي نفسها العبارة التي لا يريد النظام المصري اليوم التلويح بها في أزمة سدّ النهضة، والتي تتفاقم جزّاء لقاءات مكررة تجمع المسؤولين المصريين ونظراءهم في إثيوبيا والسودان من دون نتائج مُرضية للقاهرة حتى اللحظة، في انتظار اللقاء المرتقب بين الرئيس عبد الفتاح السيسي، ورئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد علي، في منتجع سوتشي الروسي نهاية الشهر الجاري. ترى الدولة المصرية أن مستشارته حول هذا الملف لم تكن تصله كاملة، بعيداً عن مدى الحقد الإثيوبي في تحديد آليات تشغيل السدّ. أظهر السلوك التفاوضي المصري حقيقة موقع القاهرة الإقليمي، والذي لا تزال تتغنّى به. فحتى على صعيد القارة الافريقية، لم تستطع، لا في ظلّ وجودها في الاتحاد الافريقي ولا خارجه، أن تكوّن لنفسها مكانة تستطيع من خلالها فرض الجزء اليسير مما يضمن لها سلامتها من خطر يمسّ امنها القومي، الذي - للمفارقة - لطالما شكّل شماعة لتبرير سياسات النظام القمعية. اليوم، أكثر من مئة مليون مصري مهدّدون بالعطش، فيما أزمة حادّة تتهدّد الإنتاج الزراعي والطاقة الكهربائية. وسط ذلك، لا يملك السيسي سوى القول إنه ليس سبب الأزمة، بل ثورة المصريين في 2011... في انتظار سيناريو من اثنين: العطش، ليزيد سيبّاً إلى اسباب موت المصريين، او الانجرار إلى حرب لم يعد تصوّرها مستحيلاً!

(الأخبار)

منع إقامة منشآت لأغراض الريّ على نهر عطبرة (آخر روافد النيل شمال السودان) يمكن أن تؤثر في موارد المياه. أما الاتفاقية الأهم في هذا الإطار، «اتفاقية أديس أبابا»، فقد وُقعت في تاريخ 1902/5/15 بين إثيوبيا وبريطانيا التي نابت في ذلك عن السودان ومصر بحكم احتلالها إياهما، وتضمنت تأكيد الإمبراطور الإثيوبي منع أيّ أعمال على مياه النيل الأزرق وبحيرة تانا أو السوباط. لكن الحكومة الإثيوبية اليوم تودّ سحب الاعتراف بالاتفاقية المذكورة، مُرجعة هذا إلى أن «مجلس العرش» والبرلمان البريطاني لم يصدّقا عليها. أياً يكن، فإن القاهرة ترى أن الاتفاقية الأهم بالنسبة إليها هي اتفاقية 1929 بين مصر وبريطانيا بوصف الأخيرة نائبة عن الدول التي استعمرتها على حوض النيل. وتعهّدت بريطانيا، بموجب هذه الاتفاقية، بمنح مصر حصة ثابتة من مياه النيل، مع الحق في الاعتراض على أيّ مشروعات جديدة على النهر ووافده إذا ترتب عليها إخلال بنصيبها. واستكمالاً لاتفاقية 1929، وقّعت القاهرة مع الخرطوم، عام 1959، اتفاقية أخرى تضمّنت تقاسم موارد المياه بينهما وفق محدّدات، منها أن تحصل الأولى على 55 مليار متر مكعب من المياه، فيما تحصل الثانية على 18 ملياراً. مع هذا، استمر الجدل حول اتفاقية 1929 بين الدول الأفريقية عقب استقلالها خصوصاً منها تنزانيا وكينيا وأوغندا وبين مصر، لكن القاهرة أكدت تمسكها بالاتفاقية تطبيقاً لمبدأ التوارث الدولي، فضلاً عن «الحقوق الطبيعية والتاريخية» باعتبارها من المبادئ الراسخة في القانون الدولي.

> ترفض إثيوبيا طَمْجمل الاتفاقات السابقة الموقّعة في شأن مياه النيل

عام 1993، أي إبان الاستقلال الوطني لكلّ من مصر وإثيوبيا، على عكس الصفة التي حملتها أطراف اتفاقية 1902، وُقّع بين الدولتين اتفاق حمل التزاماً إثيوبياً مباشراً بالنصوص نفسها التي وردت في اتفاقية «1902»، لجهة التمنّع عن مشروعات أو إشغالات على النيل الأزرق وفروعه يكون من شأنها التأثير في المياه الواصلة إلى السودان ومصر، سواء كميتها أو نوعيتها أو زمن تدفقها، الأمر الذي يعني أن أديس أبابا يفترض أن تحترم الموسم الزراعي في مصر، وإجراءات الأخيرة في تخزين المياه في سدودها المختلفة لوضع مخططها الزراعي والاقتصادي، باعتبار النيل المصدر الوحيد الذي تأخذ منه حاجتها للزراعة والصناعة والشرب، وحتى لحركة النقل النهري وما يرتبط بها من سياحة. آنذاك، مثّل «1993» مرحلة جديدة في العلاقات المصرية - الإثيوبية، كان يمكن أن تضع الطرفين على أعتاب برامج تعاون واسعة تُنهي جميع الحساسيات وتساعد على بلورة نواة للتعاون الإقليمي في بقية حوض النيل الأزرق، بل حوض النيل أجمع، لكن الظروف التي تلت الاتفاق لم تكن مؤاتية، ولاسيما بسبب إهمال الرئيس المخلوع، حسني مبارك، للملف الأفريقي، وامتناعه عن التصديق على هذا الاتفاق. على أن مبارك لم يكن المخطئ الوحيد، إذ أن إثيوبيا انخرطت بعدها في علاقات وثيقة مع السودان الذي اتُّهم بالتورط في محاولة اغتيال مبارك في أديس أبابا.

ترفض إثيوبيا مجمل تلك الاتفاقات: «1929» لأنها لم تكن طرفاً فيها كما تقول، و«1959» باعتبارها تخصّ مصر والسودان، ولذلك ترى في «الفيتو» المصري على استغلالها المياه تعطيلاً لقدرتها على الحصول على دعم دولي لتنفيذ مشاريع تنموية، وهو ما جعلها تنظم تحركاً جماعياً مع دول حوض النيل لمواجهة مصر، تجلّى عام 2009 في تزعّمها التوقيعات المنفردة على «اتفاقية عنتيبي» (وُقعت عليها إثيوبيا وأوغندا ورواندا وتنزانيا وكينيا، وهي تناقش اتفاق 1929 كلياً). في المقابل، تقف مصر في موقف صعب بسبب الهوّة الكبيرة بين حصتها الحالية من الماء وبين الزيادة السكانية فيها، والتي جعلت البلاد رسمياً تحت خطر «الفقر المائي»، وهو ما فرض مرونة على المفاوض المصري في شأن المشروعات المائية التي تمكّن إقامتها. وكان أحد تجليات تلك المرونة تجربة «سدّ روفيجي» الذي تنفذه شركة «المقاولين العرب» المصرية في تنزانيا، إذ وضع حجر أساسه رئيس الوزراء المصري، مصطفى مدبولي، بعدما نجحت حكومته في إقناع نظيرتها التنزانية بإقامة السدّ وتنفيذه بخبرات ومساعدات مالية وتقنية مصرية، بشرط أن يُبنى بعيداً عن النيل، مع وعد من السيسي بزيارة السدّ للمشاركة في افتتاحه خلال حزيران/ يونيو 2021 كمثال على التعاون المائي.

## السيسي: اسألوا «ثوار يناير»!

عبد الفتاح السيسي، الذي ظهر قبل أربع سنوات مدّعياً أنه لا يوجد خلاف بين مصر وإثيوبيا في شأن سدّ النهضة، هو نفسه الذي أطلّ الشهر الماضي مُحمّلاً «ثورة 25 يناير» «خطيئة» إنشاء السدّ الذي شرعت فيه إثيوبيا بعد أشهر من الثورة التي أطاحت حسني مبارك، رامياً عن كاهله مسؤوليته رئيساً للبلاد منذ 2014 حتى الآن! يلقي السيسي العبء، على سَنَة حكم «الإخوان المسلمون»، رافضاً الاعتراف بإخفاق نظامه في التفاوض والضغط على إثيوبيا والسودان، حتى مع تغير الظامنين فيهما على نحو متعاقب. فـ«الجنرال» لا يرى نفسه مسؤولاً عن الطريق المسدود الذي وصلت إليه المفاوضات، على رغم التنازلات الكثيرة التي قدمها خلال السنوات الماضية للوصول إلى صيغ توافقية.

وعلى عكس أحاديثه السابقة عن أنه لا خوف على المصريين، يبدي السيسي قلقاً واضحاً من التعامل مع الخطوات المقبلة، علماً بأن مساعديه، الوزيرة السابقة فايزة أبو النجا، باشرت العمل على هذا الملف منذ ثلاثة أعوام وأكثر. لكن مصادر مطلعة تكشف أن تقارير أبو النجا لم تكن تصل كاملة إلى الرئيس، فضلاً عن أن الأخير ليس مطّلعاً على بعض التفاصيل الفنية التي تولّاها وزير المخابرات العامة اللواء عباس كامل، صاحب فكرة إدخال مديري المخابرات في البلدان الثلاثة إلى المفاوضات التي عرفت لاحقاً بـ«التُساعيّة»، بعد انضمام أولئك المديرين إلى وزراء الريّ والخارجية.

اليوم، ثمة تعليمات لوسائل الإعلام بتحميل نظامَي مبارك و«الإخوان» مسؤولية ما حدث، تمهيداً - على ما يبدو - لإعلان تنازلات مصرية جديدة تُراجِعها جهات سيادية، في حين تعلّق القاهرة ما تبقى من آمالها. وسط عجزها - على تدخل الولايات المتحدة بممارسة ضغوط على إثيوبيا والسودان، وهو ما حاول «الجنرال» ترويجه أخيراً في نيويورك. أما وزارة الخارجية، التي أُقصيت من المشهد على نحو متعمّد منذ سنوات، فهي تُعدّ ملفاً قانونياً يتضمن الخطوات التصعيدية التي يمكن أن تتخذها «المحروسة»، سيتمّ إرساله إلى سفراء عدد من الدول الأفريقية والأوروبية لديها، في ظلّ توقعات باستطالة أمد التفاوض، من دون التوصل إلى نتيجة حتى نهاية العام الجاري على الأقل.



إعداد: رمزي باشا

# 8 سنوات من التفاوض: تنازلات ثم تنازلات

تستشعر القاهرة انحيازاً سودانياً إلى أديس أبابا على الرغم من رحيل نظام البشير (أي بي أيه)

يغيب التفاؤل عن مسار التفاوض بين القاهرة وأديس أبابا في شأن سدّ النهضة، خاصة بعدما تحوّل دور الجانب المصري من مفاوض على تفاصيل فنية للسدّ إلى مفاوض على تفاصيل التفاصيل، أي آليات التخزين وغيرها، وهو ما انعكس إنهاكاً للقاهرة على مدار ثماني سنوات من دون نتائج واضحة. عارضت مصر، ابتداءً، إنشاء السدّ، ثم تنازلت، ثم تمنّعت، ثم صارت لا تمانع ملء «النهضة» وتشغيله بشرط ألّا يضرّ ذلك بحصتها المائية، ثم جاء الإهمال، لينتهي التفاوض إلى الآليات التي تحكم تخزين المياه في السدّ، والتي يراوغ في شأنها الإثيوبيون كما تقول القاهرة، مفضّلين الاتفاق خطوة بخطوة، على عكس المطالب المصرية بآلية واضحة للتعامل مع السدّ خلال مئة عام مقبلة.

حدّد الخبراء المصريون (باستخدام أحدث النماذج الرياضية كما يقولون) سياسة الملء والتشغيل لـ«النهضة»، مع مراعاة الموازنة بين التنمية الاقتصادية الإثيوبية، وقدرة مصر على استيعاب الآثار السلبية (راجع الموضوع المقابل). يقول الخبراء إنهم أخذوا في الاعتبار «الدورات الهيدرولوجية للنيل الأزرق» ما بين فيضانات عالية ومنخفضة ومتوسطة، ووضعوا مخططهم بما لا يضرّ بإنتاج «النهضة» للكهرباء إلا في أضيق الحدود، بالتوازي مع تحمّل مصر نقص كهرباء السدّ العالي فيها، وكذلك النقص في التدفق المائي بالصورة التي يمكن لها تحمّلها. مع ذلك، ترى أديس أبابا في التصور المصري مصادرة لحقها في استخدام المياه، وتقييداً للسدّ والطاقة التي ستولّد منه، مستندة إلى أن سياسة تشغيل «النهضة» يجب أن لا تخضع لشراكة واتفاق مع دول أخرى، في مخالفة واضحة للقانون الدولي وفق الخبراء.

المشكلة أن المفاوض المصري لا يخشى من مرحلة ملء خزان السدّ فقط، بل من السياسات المستقبلية للتخزين، ولا سيما في سنوات الجفاف، وهو ما ستكون له تأثيرات سلبية كبيرة في السدّ العالي وإنتاجه. حالياً، تطلب القاهرة الحفاظ على حصة ثابتة تُقدّر بـ40 مليار متر مكعب سنوياً من إيراد النيل الأزرق فقط، إلى جانب ما يأتي من نهر عطبرة والنيل الأبيض. كما أنها ترغب في ألّا يزيد ما تحجزه إثيوبيا سنوياً في سدّها عن 10 مليارات، على أن يُقسّم العجز مناصفة بين القاهرة والخرطوم وفق اتفاقية 1959، لتتحمل كل دولة خمسة مليارات في العام أثناء تخزين السدّ. أيضاً، قدمت مصر تنازلاً آخر باستغلال مخزون مياه السدّ العالي لتعويض الفارق في خلال السنوات الأولى لعمل «النهضة»، بشرط ألّا يقل منسوب المياه في بحيرة ناصر عن 165 متراً فوق سطح البحر، وذلك لتجنب تخفيضات كبيرة في الطاقة الكهربائية المولّدة من «العالي»، لكن تحقيق هذه النسبة يستلزم وجود حصة المياه بالوفرة المتوسطة نفسها، فيما يتوقع أن تتصادف سنوات ملء خزان «النهضة» مع سنوات جفاف قد تؤدي إلى انخفاض المياه الموجودة في النهر! وعلى رغم خطورة الموقف جراء تلك المعطيات، تقوم الرؤية المصرية للتفاوض حالياً على محاولة الوصول إلى نقطة التقاء في المناقشات الفنية مع الإثيوبيين، والتوافق على إدارة ثلاثية للسدّ بين القاهرة والخرطوم وأديس أبابا، على أن تكون هذه الإدارة «خطوة لتأسيس منظومة متكاملة لربط السدود الموجودة على حوض نهر النيل معاً، من أجل تحقيق الاستفادة منها، بما لا يضرّ بمصالح باقي الدول».

> جرّت أديس أبابا القاهرة إلى أسلوب تفاوض «خطوة بخطوة»

ويرى دبلوماسيو القاهرة أن التطور النوعي في سياسة إثيوبيا الخارجية، وتحديداً منذ تولّي أبي أحمد علي رئاسة الوزراء العام الماضي، لم ينعكس إيجاباً على أزمة «النهضة» إلا بالحرص على تخفيف التوتر، وزيادة التحرك السياسي، من دون أن يمتدّ إلى تغيير في النهج التفاوضي الإثيوبي، بالتوازي مع استمرار الانحياز السوداني إلى المواقف الإثيوبية حتى بعد رحيل نظام عمر البشير. ووفق الدبلوماسيين، يهدف أحمد علي إلى زيادة قدرة إثيوبيا على اجتذاب المزيد من الاستثمارات الخارجية، وتسكين الصراعات مع دول الجوار، فهو «قادم من رحم النظام الإثيوبي ومؤسساته، واكتسب خبراته في إطار الائتلاف الحاكم منذ منتصف تسعينيات القرن الماضي»، كما «يمتلك بحكم مناصبه السابقة السياسية والأمنية علاقات دولية وإقليمية مهمة، لكن جاءت سياساته في التعامل مع التحديات الإقليمية والدولية لتصبّ لصالح بلاده» فقط، وهو ما يصعّب الموقف على المفاوض المصري، خاصة أن الأوضاع الأخيرة داخلياً وإقليمياً ربما تحدّد أطرافاً افترضت القاهرة أنها ستكون وسيلة ضغط بحكم علاقاتها معها، مثل الولايات المتحدة ودول الخليج.

# العطش ينتظر أبناء «المحروسة»

على رغم وجود تسعة أنهار كبيرة ونحو أربعين بحيرة في إثيوبيا (بينها بحيرة تانا)، فإن نصيب المواطن فيها من المياه المخزّنة يصل إلى 34 متراً مكعباً فقط في السنة، مقابل 700 متر مكعب للفرد في مصر، وفق دراسات علمية أعدّتها جامعة القاهرة. الدراسة تضمّنت رصداً رقمياً للمياه في إثيوبيا، قال إن كمية مياه الأمطار تصل سنوياً إلى 936 مليار متر مكعب، يتبخّر 80% منها بسبب المناخ المداري وارتفاع درجة الحرارة، ليجري على السطح 122 ملياراً، يبقى منها 25 ملياراً بعد أن يخرج 97 ملياراً من الأراضي الإثيوبية: 80 ملياراً إلى نهر النيل (السودان ومصر)، وثمانية مليارات إلى كينيا، وسبعة إلى الصومال، وملياران إلى جيبوتي، فيما تعدّ إثيوبيا الدولة الوحيدة في الحوض التي لا تستقبل أيّ مياه من خارج أراضيها. هذا الواقع هو الذي يدفعها، إلى جانب أسباب اقتصادية أخرى، إلى بناء سدّ النهضة. أما الواقع المائي في مصر، وطبقاً لورقة أعدّها وزير الريّ الأسبق محمد نصر علام الذي شارك في المفاوضات مع السودان وإثيوبيا، فإن تأثير مشاريع الهضبة الإثيوبية والسودان فيه يُعدّ بالغ الأثر بنسبة تصل إلى 90%. إذ إن الوضع المائي الحالي يعتمد بصورة أساسية على نهر النيل الذي هو المورد الرئيس للمياه بحصة سنوية مقدارها 55,5 مليار متر مكعب، خاصة أن الأمطار لا تتعدّى ملياراً واحداً في السنة على الساحل المصري الشمالي وساحل البحر الأحمر وبعض مناطق سيناء، كما أن المخزون الجوفي في الصحراء الغربية (قرب ليبيا) غير متجدّد، ولا يسمح باكثر من ثلاثة إلى خمسة مليارات سنوياً لمدة 50 - 100 عام. تشرح الورقة نفسها أن كلفة تحلية المياه عالية، ولا تزيد كمية المياه المحلّاة حالياً عن 200 مليون متر مكعب، في حين أن الاحتياجات المائية تزيد على 75 مليار متر مكعب سنوياً، وهو أصلاً ما يفوق الموارد المتاحة بـ30%، علماً أن الدولة تغطي العجز حالياً بإعادة استخدام نصيب الفرد من المياه و/ أو تقليله عن 700 متر مكعب سنوياً.

> تشغيل السدّ بلا اتفاق تفصيلي سينتهي بفقدان أراض زراعية كبيرة

تشغيل السدّ بلا اتفاق تفصيلي سينتهي بفقدان أراض زراعية كبيرة (أي بي أيه)

لكن بحلول عام 2050، وفي ظلّ معدل الزيادة السكانية الحالي، سيصير نصيب الفرد 350 متراً مكعباً فقط! إلى جانب ذلك التأثير، يحذر علام من أن بدء التخزين في «النهضة» من دون اتفاق على الآليات سيؤدي إلى فقدان مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية، وانخفاض كهرباء السدّ العالي وخزان أسوان وقناطر إسنا ونجع حمادي، وتوقف عدد من محطات مياه الشرب على النيل والصناعات المعتمدة عليها، فضلاً عن تأثر محطات الكهرباء التي تعمل بالغاز وتعتمد على التبريد من مياه النيل، وفوق ما تقدم تدهور نوعية المياه في الترع، وتداخل مياه البحر في المنطقة الشمالية، وتدهور نوعية المياه في البحيرات الشمالية.

لهذا كله، يشدد المفاوضون المصريون على التفاصيل التي تخصّ السعة التخزينية للسدّ الإثيوبي، فكلما زادت هذه السعة، تفاقمت الآثار السلبية، لأن التخزين يخصم من مخزون مياه السدّ العالي الذي يستخدم حالياً لتعويض العجز، ولاسيما في السنوات التي يقلّ فيها التدفّق عن قيمته المتوسطة. معنى ذلك عملياً أنه سيظهر بعد إنشاء «النهضة» الجفاف والعجز في سنوات الفيضان المنخفضة، تماماً مثلما كما كان الوضع قبل بناء السدّ العالي. أيضاً، يركز المفاوضون المصريون على المياه التي ستُستخدم للريّ في إثيوبيا، إذ ستكون نتاج خصم مباشر من حصّتَي مصر والسودان السنويّتين، فيما تبقى السياسة التشغيلية للسدود عنصراً إضافياً في التأثير.

تقرير

# التودّد السعودي إلى روسيا: جانب «الحليف التاريخي» غير مأمون

**شكّلت زيارة الرئيس الروسي للسعودية محطّة تأسيسية في سياق العلاقات المتنامية بين البلدين. كونها جاءت في مرحلة بالغة الحساسية إقليمياً، في ظلّ الانكفاء الأميركي الذي بدأت ترجمته عملياً على الأرض. انكفاءٌ تجد فيه موسكو فرصتها لتعزيز نفوذها في المنطقة، فيما يمثل بالنسبة إلى الرياض عاملاً موارباً يدفعها إلى محاولة الخروج من أحادية التحالف مع واشنطن**

ملاك حمود

لا يمكن النظر إلى زيارة الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، للسعودية باعتبارها محطّة عابرة في سياق العلاقات بين البلدين. لجهة التوقيت (وإن كانت الزيارة مجدولة منذ نحو عام)، يمكن وضعها في إطار سياسة خارجية سعودية متبدّلة. سياسة تستدعي، راهناً، تنويع العلاقات مع أكثر من شريك دولي فاعل، وسط أزمات تعيشها المملكة على أكثر من مستوى، وفي ظلّ رغبة أميركية مُعلَنة في الانسحاب من المنطقة. «الخيارات البديلة» التي لوّح بها ولي العهد السعودي، محمد بن سلمان، عقب جولته الآسيوية (شملت الصين والهند وباكستان) في شباط/ فبراير الماضي، حين كان الغضب الغربي لا يزال في أوجه بفعل أزمة جمال خاشقجي، باتت أكثر وضوحاً، وعنوانها «الخروج» من أحادية التحالف التاريخي الراسخ مع الأميركيين، وفق ما قُرئت الزيارة سعودياً.

أما روسياً، فيمكن قراءة الزيارة، التي وصفها البعض بـ«التاريخية» وبأنها «نقطة تحوّل»، في سياق الدور المتنامي لموسكو في المنطقة، وسعيها إلى الاستفادة من الثغَر الأميركية، لاسيما في وقت يُعاد فيه خلط الأوراق إقليمياً، في ظلّ قرار واشنطن الانسحاب من سوريا، والمشهد المُتغيّر في اليمن بعد عمليتَي «أرامكو» ونجران، واللتين أظهرتا عجزاً سعودياً عن فرض ردّ منسّق ضدّ إيران وحلفائها. هذا المسعى يظهر جلياً في ما يحدث بين السعودية وروسيا، على رغم نفي الرئيس التنفيذي لـ«صندوق الثروة السيادي الروسي»، كيريل ديمتريف، أن تكون بلاده تحاول من خلال ذلك ملء فراغ في المنطقة تركته أميركا، ووصفه الاستثمارات الروسية المتزايدة في المملكة والتجارة معها بأنها «بناء جسور»، وتأكيده أن «ما نفعله ليس ضدّ واشنطن. إنه في الواقع بناء شيء إيجابيّ للغاية، وبناء شيء يساعد الاقتصادين السعودي والروسي، ويبني الصداقة بين بلدينا».

الزيارة النادرة للرئيس الروسي للمملكة، والأولى له منذ 12 عاماً، برفقة وفد كبير من مسؤولي التجارة والأمن والدفاع، جرى خلالها الإعلان عن صفقات ثنائية بلغت قيمتها أكثر من مليارَي دولار، إلى جانب أكثر من 20 اتفاقاً ومذكرة تفاهم في مجالات شتّى، يتصدّرها «ميثاق التعاون بين الدول المنتجة للنفط»، والذي توصل إليه الجانبان في تموز/ يوليو الماضي، ووقّعاه رسمياً أخيراً. هكذا، تحتلّ الطاقة موقعاً متقدماً في جدول تعزيز العلاقات بين البلدين، وهو ما عبّر عنه بوتين في تصريحات سبقت زيارته قال فيها إن المملكة «تُعتبر من الدول الأساسية في المنطقة، وتؤثر بحسب قدراتها ونطاق نشاطها في مجال الطاقة. ويمكن أن نعتبر العربية السعودية لاعباً ليس إقليمياً فحسب، وإنما هي لاعب دولي أيضاً، فهي تؤثر على سوق الطاقة العالمية، وبالتالي على سائر الطاقة العالمية»، في حين اعتبر ابن سلمان أن تعاون البلدين في مجال الطاقة ستكون له آثار إيجابية وسيحقّق الاستقرار. ولكن هل يمكن ملف الطاقة وحده

قد يكون الاختفاء المبالغ به سيد الكرملين بمثابة جرس تحذير للولايات المتحدة (أ ف ب)

> السفير السعودي في لندن: روسيا غالباً ما تتفهم الشرف بشكل أفضل من الغرب

تفسير كلّ ما يجري من مياه على خطّ موسكو - الرياض؟

أمورٌ كثيرة تبدلّت بين زيارَتَي بوتين للسعودية. اهتزّت الثقة السعودية بالغرب عقب حادثة القنصلية، وما تلاها من سخط دوليّ تلاشى تباعاً بفعل مرور الوقت، والمظلة الأميركية التي احتمى تحتها ابن سلمان، وعجز الكونغرس عن فرض توجّه مناوئ للمملكة، على رغم مساعيه المتواصلة في ذلك، لا يعني هذا، طبعاً، أن الرياض تقلق بموسكو (لم تول الأخيرة أهمية تُذكر لقضية خاشقجي)، غير أن منحى التطورات في المنطقة فرض على الأولى، ربّما، إعادة النظر في شراكاتها بعيداً عن الاعتماد الكلّي على حليف واحد، والتحوّط إزاء أي اضطرابات محتملة في المستقبل. سبقت أزمة خاشقجي صدماتٌ سعودية متتالية بدأت في عام 2011، مع تخلّي الغرب عن حليفه القديم الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك، والتوقيع لاحقاً على الصفقة النووية مع إيران في إطار مجموعة «5+1» عام 2015، ما خلق لدى المملكة شعوراً بأن البيت الأبيض (بارك أوباما حينها) بدأ يفقد اهتمامه بالمنطقة. ومع انتخاب دونالد ترامب الذي اختار الرياض كأول محطة رئاسية خارجية له في أيار/ مايو 2017، عادت العلاقات التي يحكمها المال وأمن النظام إلى مسارها، وتم الإعلان عن صفقات بقيمة عشرات المليارات من الدولارات، إلا أن تلك العودة لم تبدّد شعور المسؤولين السعوديين بالفزع من مقاربة ترامب غير المتوقّعة تجاه المنطقة. ولعلّ وصف السفير السعودي لدى المملكة المتحدة، خالد بن بندر، العدوان التركي في شمال شرق سوريا بأنه «كارثة»، واعتباره أن «روسيا غالباً ما تتفهّم الشرق بشكل أفضل من الغرب»، يجلّيان بوضوح الشعور المذكور.

حظيت زيارة الرئيس الروسي للسعودية بحفاوة بالغة على أعلى المستويات، علماً أنها جاءت بعد أخرى «تاريخية» قام بها الملك السعودي إلى موسكو في عام 2017. بحسب مسؤول روسي، هي «شراكة طبيعية»، لأن «كبرى الدول المصدّرة للنفط في العالم تتعاون لتحقيق الاستقرار في الأسواق». لكن أهمية هذه الصداقة المزدهرة لا يمكن حصرها في المحادثات حول النفط، تماماً كما لا يمكن التغاضي عن أن روسيا، قبل كل شيء، حليف وثيق لأعداء السعودية. من هنا، يمكن اعتبار زيارة بوتين بمثابة «انقلاب» دبلوماسي جيّد التوقيت، ووضع الرئيس الروسي مجدداً في مركز الجغرافيا السياسية للمنطقة. أما من الجانب السعودي، فقد يكون الاحتفاء بسيد الكرملين بمثابة جرس تحذير للولايات المتحدة، على رغم الحلف التاريخي الذي لا يمكن كسره بين البلدين. فالقلق في شأن التزام واشنطن تجاه المنطقة يدفع الرياض إلى التلويح بالبحث عن صداقات أكثر موثوقية وأقلّ كلفة. وهذا ما عبّر عنه مسؤول سعودي تحدّث إلى «بي بي سي»، أخيراً، بالقول إن «أيام شريك استراتيجي واحد للمملكة قد ولّت بالفعل».

## طرح «أرامكو» نحو تأجيل جديد

لم تخرج التطمينات السعودية إلى أن الطرح العام الأولي لأسهم «أرامكو» سيكون في موعده، من فضاء التصريحات. وعلى رغم الإعلانات المتكررة على لسان أكثر من مسؤول حكومي، وآخرها قول المدير التنفيذي للشركة، أمين الناصر، وقبله وزير الطاقة السعودي، عبد العزيز بن سلمان، إن الهجمات اليمنية على منشأتَي بقيق وخريص النفطيتين لن يكون لها تأثيرٌ على خطط إدراج عملاق النفط في البورصة، والذي كان مُتوقعاً الأسبوع المقبل، إلا أن سلطات المملكة تتجه على ما يبدو نحو تأجيل جديد، من دون تحديد موعد واضح.

وبحسب مصادر مطّلعة، فإن «أرامكو» أرجأت طرح أسهم الشركة في سوق الأوراق المالية، آملةً أن تعزّز نتائجُ أعمالها المنتظرة للربع الثالث ثقةَ المستثمرين في أكبر شركة نفط في العالم. وقال مصدران تحدّثا أول من أمس إلى «رويترز»، إنه بعد هجمات 14 أيلول/ سبتمبر، والتي تسبّبت في تعطّل نصف إنتاج المملكة من الخام، يرغب أكبر مُصدّر للنفط في العالم في «طمأنة المستثمرين» عبر عرض نتائج أعماله أولاً عن تلك الفترة. وأوضح أحد هذين المصدرين «أنهم يريدون فعل كلّ ما في وسعهم للوصول إلى القيمة المستهدَفة. ونتائج قوية بعد الهجوم ستجعلهم في وضع أقوى». وبينما أكد المصدر الثاني تأجيل الطرح من دون تحديد موعد جديد للإدراج، احتمل آخر لـ«فرانس برس» أن يتم الطرح في نهاية العام الجاري أو في الشهر الأول من العام المقبل. في الإطار ذاته، ذكرت صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، نقلاً عن مصدر، أن الإدراج تأجّل «لأسابيع». وفي تعليقها على تلك الأنباء، أشارت الشركة إلى أنها «تواصل الانخراط مع المساهمين في شأن أنشطة التجهيز للطرح العام الأولي»، مستدركة بأن «التوقيت سيعتمد على ظروف السوق، وعلى اختيار المساهمين للموعد». ويصرّ مسؤولون تنفيذيون في «أرامكو»، منذ الهجمات، على أن الأخيرة لن تؤثّر على خطط إدراج الشركة، بل يعتبرون أن استعادة كامل إنتاج النفط بوتيرة أسرع من المتوقع (وفق المعلن) من شأنها أن تعزّز صورتها. ومن هنا، بيّن المصدر الثاني الذي تحدث إلى «رويترز» أن «التوجّه الرسمي هو أن نتائج الربع الثالث جيدة جداً، لذا هم يرغبون في تزويد المحلّلين بأحدث المعلومات وتسويق الطرح العام الأولي بعد أرقام الربع الثالث».

من جهته، أفاد مسؤول تنفيذي كبير في مجموعة «توتال» الفرنسية للنفط والطاقة بأن أسواق النفط فقدت مليونَي برميل يومياً من إمدادات الخام هذا العام بسبب مشكلات أمنية وسياسية، لكنها أكثر قلقاً حيال تباطؤ الطلب. وأشار رئيس شؤون التجارة والشحن في «توتال»، توماس وايمل، خلال المؤتمر الدولي لشركات البترول والغاز الطبيعي المنعقد في الصين، إلى أن المشكلات السياسية التي أدت إلى فقدان إمدادات الخام تشمل العقوبات الأميركية على فنزويلا وإيران، والتعطيلات في السعودية وليبيا. وأضاف أنه رغم ذلك «بإمكاننا أن نجد أن المخاوف حيال تباطؤ الاقتصاد والطلب أكبر بكثير من مثل هذا التعطل غير المتوقّع في الإمدادات».

(الأخبار)

كاتالونيا

# الكاتالونيون يواصلون الاحتجاج: هل تعيد مدريد فرض «الطوارئ»؟

**تواصل التظاهرات التي تشهدها كاتالونيا احتجاجاً على إصدار القضاء الإسباني أحكاماً على عدد من قادتها، الأمر الذي من الممكن أن يتصاعد نحو الأسوأ. وفي الوقت الذي تبدو فيه مدريد غير مبالية لإيجاد حلّ قريب، تصرّ الحكومة الكاتالونية على المضي في الانفصال**

ليس من المعروف ما ستؤول إليه التظاهرات التي تشهدها كاتالونيا، والتي تصاعدت بشكل كبير أمس، في خامس أيامها، وسط «إضراب عام» وتظاهرة كبيرة في مدينة برشلونة، بعد ليلة من التوتر والصدامات بين الشرطة والاستقلاليين الذين يعبّرون عن غضبهم بعد إصدار القضاء الإسباني أحكاماً على عدد من قادتهم. وقد بدت آثار الإضراب واضحة في المدينة، التي تعد وجهة مفضّلة للسياح، فيما كانت حركة السير ضعيفة بالنسبة إلى يوم عمل. كذلك، شهدت وسائل النقل العام اضطرابات والغيت 55 رحلة في مطار برشلونة.

وجاء هذا التوتر الجديد عشية يوم سيشهد ذروة التعبئة، احتجاجاً على الأحكام القاسية بالسجن لمدد تراوح بين تسع سنوات و13 سنة، على القادة الانفصاليين لدورهم في محاولة الانفصال في عام 2017. وتعد أعمال العنف هذه التي نجمت عن شعور بالإحباط لدى جزء من قاعدة الاستقلاليين، بعد سنتين على فشل محاولتهم الانفصالية في عام 2017، مُنعطفاً للحركة الانفصالية التي أكدت دائماً نبذها للعنف. كذلك، تشكل هذه التحركات تهديداً للحكومة الإسبانية، لا سيما أنها تأتي قبل أسابيع على إجراء رابع انتخابات تشهدها إسبانيا خلال أربع سنوات، ووسط هشاشة وانقسامات حزبية. وقد جاء تكرار الدعوة إلى إجراء انتخابات في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر، بعدما فشل رئيس الحكومة بيدرو شانشيز وحزبه الاشتراكي في الحصول على ما يكفي من الدعم من الأحزاب الصغيرة من أجل تحويل فوزهم في انتخابات نيسان / أبريل، إلى حكومة قادرة على العمل. لذا، وبالرغم من أن الحزب الاشتراكي يقود استطلاعات الرأي، إلا أن التركيز المتجدد على كاتالونيا يمكن أن يؤثر على الناخبين، خصوصاً في حال تصاعدت التظاهرات.

وما ينذر بذهاب الأمور نحو الأسوأ، هو التعنّت الذي يحافظ عليه كل من سانشيز والزعيم الانفصالي كويم تورا الذي يترأس الحكومة الكاتالونية، في تصريحاتهما إزاء الوضع، خصوصاً أنهما لم يجرّا أي تقدّم نحو حل النزاع منذ أن تسلّما السلطة في حزيران / يونيو 2018.

وفي خطاب ألقاه سانشيز، يوم الإثنين، قال إن الحكم الذي توصلت إليه المحكمة العليا يؤكد أن إسبانيا هي واحدة من أصلب الديموقراطيات في العالم، وإن الخطوة الأخيرة ستسمح لكاتالونيا بالدخول في «مرحلة جديدة». إلا أن تورا وعد، في اليوم ذاته، بـ«التقدم في المسار باتجاه إنشاء جمهورية كاتالونيّة، من دون اعذار». وكان هذا الأخير قد ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، محذراً مدريد، عندما زارها في أيلول / سبتمبر، من أن كاتالونيا ستتبع خطى المتظاهرين في هونغ كونغ. تورا طالب أيضاً بعفو عام عن القادة الكاتالونيين، على اعتبار أنه يمكن لسانشيز أن يستخدم سلطاته التنفيذية لهذا الهدف. إلا أن الأحزاب الإسبانية المعارضة تمنعه من إظهار هذا التساهل.

في مقابل ذلك، لا يزال المجتمع الكاتالوني منقسماً إزاء الاستقلال. فالسياسيون الانفصاليون الذين دخلوا الحكم، منذ عام 2015، فازوا بغالبية المقاعد البرلمانية مرات عديدة، من دون أن يتمكنوا من الحصول على الغالبية القصوى من الأصوات. وما يمكن أن يقلب المعادلة أمام القادة الكاتالونيين والإسبان على السواء، ظهور مجموعة جديدة في الاحتجاجات الأخيرة، وهي منظمة سرية

> حذّر رئيس الحكومة الانفصالية من أن كاتالونيا ستتبع خطى تظاهرات هونغ كونغ

وغامضة تسمّي نفسها «تسونامي الديموقراطية»، التي تتمايز عن غيرها من المنظمات الكاتالونية الانفصالية، واصفة نفسها بأنها سلمية وغير عنفية. وبوجود هيكلية غامضة وقادة غير معروفين، تمكنت هذه المنظمة، التي تتواصل مع أعضائها عبر التطبيقات الإلكترونية المشفّرة، من تحريك آلاف المتظاهرين، ليل الإثنين، عندما قام هؤلاء بإيقاف العمل في مطار برشلونة. وفي هذا السياق، أفيد بأن الحكومة الإسبانية فتحت تحقيقاً قضائياً بشأن هذه المجموعة من أجل معرفة ما إذا كانت لديها صلات ببعض السياسيين الكاتالونيين. هذا فضلاً عن أن هذه السلطات الإسبانية قد هدّدت باستخدام حالة الطوارئ لإعادة فرض النظام، ما يعني احتمال إعادة كاتالونيا لحكم مدريد، كما حصل في تشرين الأول / أكتوبر 2017.

(الأخبار)



## إعلانات رسمية

**إعلان**

**تعلن المؤسسة العامة لإدارة مستشفى مرجعيون الحكومي عن تمديد فترة إستقبال العروضات للمشاركة في المناقصة العمومية لشراء مولد كهربائي قوة 400KVA لزوم المستشفى، على الراغبين بالإشتراك، الحضور إلى مبنى المستشفى لإستلام دفتر الشروط ضمن الدوام الرسمي.**

**تُقدم العروض في مهلة اقصاها الساعة 12:00 ظ من يوم الإثنين الواقع في 2019/10/28، ويكون فضّ العروض نهار الثلاثاء في 2019/10/29 في تمام الساعة الواحدة ظهراً.**

**رئيس مجلس الإدارة**
**المدير**
**الدكتور مؤنس كلاكش**

## للبيع

**عقارات للبيع**
**عقار كورنيش النهر/ الاشرفية، خلف الTVA، 1200 م2 زاوية، 20%، (شركة)، 4000$ المتر. ت: 76/679391**

كازينو لبنان

شركة كازينو لبنان
شركة صاحبة امتياز مساهمة لبنانية
راسمالها اثنان و ثلاثون ملياراً و أربعمائة مليون ليرة لبنانية مدفوع بالكامل
دعوة لمساهمي شركة كازينو لبنان ش.م.ل
لحضور جمعية عمومية عادية سنوية
التي ستعقد بتاريخ ٢٠١٩/١١/٨

يتشرّف مجلس ادارة شركة كازينو لبنان . شركة صاحبة امتياز مساهمة لبنانية . بدعوة حضرة مساهمي الشركة الى عقد جمعية عمومية عادية سنوية في مركز الشركة الرئيسي في طبرجا كفرياسين (المعاملتين) (جبل لبنان) وذلك في تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الواقع في الثامن من شهر تشرين الثاني ٢٠١٩ للبحث في جدول الأعمال التالي :

١- الاستماع الى تقريري مجلس الادارة العام والخاص عن حسابات سنة ٢٠١٨
٢- الاستماع الى تقريري مفوضي المراقبة العام والخاص عن حسابات سنة ٢٠١٨
٣- المصادقة على البيانات المالية الموقوفة بتاريخ ٢٠١٨/١٢/٣١ واتخاذ القرار المناسب بالنسبة للأرباح
٤- ابراء ذمة رئيس و أعضاء مجلس الادارة عن أعمالهم لسنة ٢٠١٨
٥- تعيين مفوضي المراقبة لسنة ٢٠١٩ و تحديد بدل أتعابهم
٦- منح التراخيص المنصوص عليها وفقاً لأحكام المادتين ١٥٨ و ١٥٩ من قانون التجارة
٧- أمور متفرقة و طارئة.

ويعلن المجلس لحضرة المساهمين أن الشركة تضع تحت تصرفهم في مركزها الرئيسي الكائن في طبرجا كفرياسين وفي مكان انعقاد الجمعية المحدد أعلاه قبل خمسة عشر يوماً من انعقاد الجمعية، المستندات المنصوص عليها في المادة ١٩٧ من قانون التجارة المعدّلة وهي: جدول الجرد والميزانية العمومية وحساب الأرباح والخسائر وقائمة المساهمين وتقريري مجلس الإدارة العام والخاص وتقريري مفوضي المراقبة العام والخاص.
ويذكّر المجلس حضرة المساهمين بالأحكام التالية الواردة في المادة ٤١ من نظام الشركة:

المادة ٤١: يجوز للمساهمين، الذي لا يستطيعون حضور الجمعية أن يوكلوا عنهم من يمثلهم شرط أن يكون هؤلاء من المساهمين ولا يشمل هذا الشرط الممثلين الشرعيين لفاقدي الأهلية.

في حال عدم اكتمال النصاب في جلسة الساعة العاشرة صباحاً، تعقد جلسة ثانية بمن حضر الساعة الحادية عشرة صباحاً.

**مجلس إدارة شركة كازينو لبنان**
**شركة صاحبة امتياز مساهمة لبنانية**

الرياضة اللبنانية

# لبنان في بطولة آسيا... وتأجيل الأنشطة المحلية

ضمن منتخب لبنان تأهّله إلى بطولة كأس آسيا «تركمنستان 2020»، عقب تغلّبه على السعودية (2-1)، ضمن الجولة الثانية في المجموعة الثانية من تصفيات منطقة غرب آسيا.

افتتح كريم بو زيد التسجيل لمنتخب لبنان في الدقيقة السادسة، وأضاف علي طنيش الهدف الثاني في الدقيقة (23). الأوّل رفع عدد أهدافه إلى خمسة، في صدارة الهدافين حالياً، بعد تسجيله أربعة أهداف في مرمى عمان، التي خسرت (2-10) في الجولة الأولى أمام لبنان، في حين سجّل طنيش هدفه الثاني.

ويلعب المنتخب اللبناني مباراته الثالثة مع قطر، غداً الأحد، عند الساعة الواحدة ظهراً. وكان المنتخب القطري خسر مباراتيه، الأولى أمام السعودية (5-2) والثانية أمام عمان (0-3).

وهذه المرة الـ12 التي يتأهّل فيها منتخب لبنان إلى البطولة الآسيوية، مشاركاً في جميع النسخات منذ عام 2003، وهو كان وصل إلى الدور ربع النهائي في المشاركة الأخيرة.

وخلال اللقاء افتقد منتخب لبنان عنصرين من أبرز أسلحة المدرب الإسباني باكو أراوجو الهجومية بعد إصابة محمد قبيسي ومصطفى رحيم في المباراة الأولى أمام عمان، فاعتمد على سبعة لاعبين إلى جانب الحارس المتألق حسين همداني. في المقابل كان مواطنه لويس فونسيكا، مدرب السعودية، يستفيد من التحضيرات الطويلة التي أجراها والمعسكرات الخارجية والداخلية المكثفة، عبر إشراك 10 لاعبين، ما خلق له خيارات أكبر في المداورة.

وأظهر اللبنانيون تفوقاً تكتيكياً، خصوصاً عبر التمركز والتحرك والحفاظ على الكرة، فضلاً عن خلق التوازن في الدفاع والهجوم.

وشهدت المباراة أخطاءً تحكيمية عديدة، فاحتسب الحكام 5 أخطاء على منتخب لبنان قبل 5 دقائق من انتهاء الشوط الأول، مقابل عدم احتساب أي خطأ على المنتخب السعودي.

وبهذه النتيجة يكون منتخب لبنان قد رفع رصيده الى ست نقاط من انتصارين وضمن صدارة المجموعة، وبالتالي حجز بطاقته الى النهائيات، في حين اشتعلت المنافسة بين السعودية وسلطنة عمان على البطاقة الثانية، بحيث يحتاج السعوديون الى التعادل. وفقدت قطر أي أمل في احتلال مركز ثانٍ للتأهل المباشر أو حتى مركز ثالث يخول صاحبه خوض مباراة فاصلة مع صاحب المركز الثالث من المجموعة الاولى لخطف البطاقة الخامسة المؤهلة الى البطولة الآسيوية.

> شارك لبنان في جميع نسخ بطولة آسيا منذ 2003

### إرجاء مباريات كرة القدم والسلة

أعلن الاتحاد اللبناني لكرة القدم إرجاء مباريات الجولة التي كانت مقررة نهاية الأسبوع الحالي، في مختلف الدوريات والدرجات. وأصدر اتحاد الكرة بياناً تم نشره على صفحة الاتحاد على مواقع التواصل الاجتماعي جاء فيه، «بسبب الأوضاع الراهنة في البلاد قررت لجنة الطوارئ في الاتحاد اللبناني لكرة القدم تأجيل جميع المباريات المقررة لهذا الأسبوع لبطولات الدرجتين الأولى والثانية، ودوري الفئات العمرية وكرة القدم النسائية ودوري فرق الفتيات إلى موعد يحدد لاحقاً».

ومن جهته أصدر الاتحاد اللبناني لكرة السلة بياناً جاء فيه، «قرر الاتحاد اللبناني لكرة السلة تأجيل موعد مباراة اطلس الفرزل وهوبس بيروت في ختام المرحلة الرابعة ذهاباً، التي كانت مقررة الجمعة الساعة 20:00 (يوم أمس)، على ملعب مدرسة الراهبات الانطونيات في كسارة زحلة، إلى موعد يحدده لاحقاً، حفاظاً على سلامة اللاعبين والأجهزة الفنية والإدارية والحكام والجمهور. وهو في صدد تقييم الوضع الميداني يومياً، وفق تطور الأوضاع لاتخاذ القرارات المناسبة».

فاز منتخب لبنان بهدفين لواحد (الاتحاد الآسيوي)

بريميرليغ

# سولشاير أمام «مهمة مستحيلة»

## مباراة فاصلة تحدد مستقبل المدرب النروجي

يستقبل مانشستر يونايتد على ارضه، متصدر الترتيب العام ليفربول، في قمة مباريات الجولة التاسعة من الدوري الإنكليزي الممتاز (غداً الاحد الساعة 18:30 بتوقيت بيروت). مباراة يأمل من خلالها الشياطين الحمر تعديل المسار من بوابة «العدو الأزلي». في حين يتطلع الـ«ريدز» لتحقيق العلامة الكاملة والبقاء بالصدارة، سعياً للتتويج بلقبٍ دام انتظاره 30 عاماً

حسين فحص

بعد إقالة جوزيه مورينيو، تم تعيين المدرب النروجي أولي غونار سولشاير على رأس العارضة الفنية لمانشستر يونايتد، بهدف أن ينقذ ما تبقى من تداعيات موسم مورينيو الكارثي. بضع نتائج جيدة، أعطت المدرب النروجي عقداً طويل الأمد في الأولد ترافورد، ليثبت الموسم الحالي سوء قرار الإدارة حينها، أو على الأقل تسرّعها.

بعد اعتزال المدرب الأسبق السير أليكس فيرغسون، انخفضت أسهم مانشستر يونايتد مقارنة بباقي أندية النخبة، على خلفية المواسم السيئة التي قدمها تباعاً مع مدربين مختلفين. جاء العديد من المدربين أصحاب الخبرة، بينهم ديفيد مويس، لويس فان خال، جوزيه مورينيو، وكان لهم دعم كامل من الإدارة على صعيد الصلاحية والميزانية، غير أن النتائج لم تكن على قدر التطلعات.

لم يجد اليونايتد فيرغسون جديداً حتى الآن، مدرب يحصد البطولات بأقل المصاريف، وهو أمر طبيعي ربما في عصر بات فيه البذخ في سوق الانتقالات عنصراً رئيسياً لنجاح نادٍ من عدمه. ما هو غير طبيعي، صرف اليونايتد مبالغ طائلة من دون تحقيق أي بطولة كبرى تذكر. لاعبون كثر جاؤوا إلى مانشستر يونايتد بأرقام فلكية، كبول بوغبا، أنطوني مارسيال، هاري ماغوايير... لم يقدموا الإضافة المتوقعة.

يعكس تصريح جوزيه مورينيو الكثير، في الأستوديو التحليلي الخاص بشبكة «سكاي سبورتس»، «لقد طالبت الإدارة ببعض الصفقات، لكنها لم تستجب لندائي. استحقيت الإقالة في نهاية المطاف، لكن الفريق الحالي، رغم تدعيمه، أسوأ من الذي كنت أدربه عندما قررت الإدارة إقالتي».

بعد مضي 8 جولات على انطلاق الدوري الإنكليزي الممتاز، يقبع مانشستر يونايتد في المركز الـ12 بـ9 نقاط، جاءت من انتصارين، ثلاثة تعادلات، وثلاث خسائر، ليبتعد حتى اللحظة عن المتصدر ليفربول بـ15 نقطة كاملة. بداية هي الأسوأ لمانشستر يونايتد منذ 30 عاماً.

> تشير الأخبار لاقتراب ماسيميليانو اليغري من تدريب مانشستر يونايتد

يتفوق ليفربول على مانشستر يونايتد هذا الموسم على مختلف الأصعدة، وما يزيد الأمر صعوبة على رجال سولشاير، إصابة الحارس ديفيد دي خيا ومتوسط الميدان بول بوغبا قبيل المباراة المرتقبة. مباراة صعبة تنتظر مانشستر، يأمل منها الأنصار الخروج بأقل الأضرار الممكنة، مع الإشارة إلى أنها قد تكون رصاصة الرحمة للمدرب في حال خسارته، نظراً لكثرة الأخبار أخيراً عن اقتراب ماسيميليانو اليغري من تدريب الفريق.

على الجانب الآخر، يتطلع رجال المدرب الألماني يورغن كلوب لكسر الأرقام، ومواصلة بدايتهم القوية في الدوري، حيث حقق الفريق 8 انتصارات متتالية. ورغم عدم تقديم أداء مقنع في بعض المباريات، إلا أن

حقق ليفربول 8 انتصارات متتالية (أ ف ب)

يونايتد هذا الموسم على مختلف الأصعدة، وما يزيد الأمر صعوبة على رجال سولشاير، إصابة الحارس ديفيد دي خيا ومتوسط الميدان بول بوغبا قبيل المباراة المرتقبة. مباراة صعبة تنتظر مانشستر، يأمل منها الأنصار الخروج بأقل الأضرار الممكنة، مع الإشارة إلى أنها قد تكون رصاصة الرحمة للمدرب في حال خسارته، نظراً لكثرة الأخبار أخيراً عن اقتراب ماسيميليانو اليغري من تدريب الفريق.

على الجانب الآخر، يتطلع رجال المدرب الألماني يورغن كلوب لكسر الأرقام، ومواصلة بدايتهم القوية في الدوري، حيث حقق الفريق 8 انتصارات متتالية. ورغم عدم تقديم أداء مقنع في بعض المباريات، إلا أن الابتعاد بفارق 8 نقاط عن الوصيف مانشستر سيتي، يؤكد أن النادي يسير بخطى ثابتة حتى الآن.

فور توقيعه لليفربول، وعد كلوب الأنصار بتحقيق الألقاب بعد 3 سنوات. في الموسم الماضي، نفذ كلوب كلمته. تتويج في بطولة دوري أبطال أوروبا، ترافق مع وصافة في الدوري الإنكليزي الممتاز بفارق نقطة عن مانشستر سيتي، أظهر النسخة الأقوى لليفربول في العقد الحالي.

مر ليفربول في أغلب فترات الألفية الجديدة بما يمر به مانشستر يونايتد اليوم. يكمن الفارق بحسن اختيارات إدارة الريدز وتروّيها مقارنة بإدارة الشياطين الحمر. بعد حسن التأسيس من قبل المدرب السابق بريندن رودجرز، واقترابه من تحقيق لقب الدوري بأقل الإمكانيات الممكنة، كسب الريدز الكثير من الأموال بفعل عائدات النقل التلفزيوني، إضافةً لبيع اللاعبين الذين برزوا مع رودجرز، على رأسهم لويس سواريز، رحيم ستيرلينغ وفيليبي كوتينيو بأسعار خيالية مقارنة بالأسعار التي جاؤوا من خلالها إلى ليفربول. تسلم كلوب فريقاً بعقلية جيدة، وقام خلال ثلاث سنوات بتغيير المنظومة تدريجاً لتتلاءم مع خطته وطموحات الإدارة على حدّ سواء. جاء ساديو ماني، ومحمد صلاح، تلاهما فيرجيل فان دايك واليسون بيكير، أما النتيجة فكانت بناء منظومة شابة قوية بعيداً عن أضواء الإعلام. رغم الكمال في منظومة كلوب، يبقى العبء الوحيد عدم تدعيم دكة الفريق خلال الصيف الماضي، التي تعد ضعيفة نسبياً مقارنة بباقي الأندية، على رأسها مانشستر سيتي، الذي يتأمل معجزة من جاره في المدينة لإلحاق التعثر الأول بليفربول، وبالتالي ردم الهوّة بينهما.

تلقّى المدافع الدولي الفرنسي صامويل أومتيتي «الضوء الأخضر الطبي» للعودة إلى اللعب مع فريقه برشلونة ثاني ترتيب الدوري الإسباني لكرة القدم، وذلك بعد غياب خمسة أسابيع بسبب الإصابة في قدمه اليمنى.

وبات أومتيتي، المتوّج مع منتخب بلاده بلقب مونديال 2018، جاهزاً لخوض مباراة فريقه مع مضيفه إيبار (اليوم الساعة 14:00 بتوقيت بيروت) في المرحلة التاسعة من الدوري. وتلاحق لعنة الإصابات أومتيتي (25 عاماً) إذ تعرض قبل عام تقريباً لإصابة في الركبة اليسرى، فقرر أن يعالجها من دون أن يخضع لعملية جراحية. وبعد عودته إلى الملاعب في تشرين الثاني/نوفمبر 2018، أصيب وغاب حتى مطلع العام الحالي.

وخسر لاعب ليون السابق مركزه الأساسي في دفاع النادي الكاتالوني ومنتخب بلاده على السواء لمصلحة مواطنه كليمان لانغليه.

وتعزز أومتيتي في إصابته الأخيرة لشعر في مشط القدم اليمنى خلال تمارينه مع منتخب فرنسا. فغادر المعسكر التدريبي من دون أن ينمكن من خوض مباراتي بلاده أمام البانيا (4-1) وأندورا (3-صفر) ضمن تصفيات كاس أوروبا 2020 الشهر الماضي. (أ ف ب)

## استراحة

### كلمات متقاطعة 3285

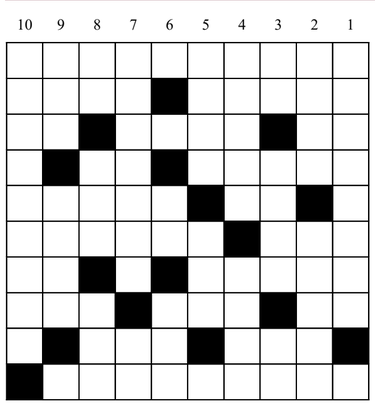

**أفقيا**

1- رئيس مجلس نيابي لبناني راحل – 2- مدينة جزائرية تلقبّ بالباهية – حكيم وفيلسوف هندي شهير – 3- أغلظ أوتار العود – فرس غير أصيل – إحسان – 4- نوع من القرود – سعل – 5- عملة آسيوية – من الحشرات المؤذية تعيش أحياناً في شعر الرأس – 6- وجع – ضابط في الجيش الألماني خلال الحرب العالمية الثانية قاد الجيش السادس في معركة ستالينغراد – 7- فيلسوف ومجاهد هندي دعا الى تحرير الهند من الإنكليز بالطرق السلمية – مرض صدري – 8- وشى – لسّ الطعام – حرف جزم – 9- ضعف وذبول الحيوية – في الشجر – 10- شاعر شعبي لبناني إنتقادي راحل عُرف بإبن الشعب أو البلد لقبّ بموليير الشرق وفولتير العرب

**عمودياً**

1- عاصمة أوروبية – 2- أتكلم بصوت خافت – فيلم سينمائي عرض عام 2007 يروي السيرة الذاتية للمغنية الفرنسية الراحلة إديث بياف – 3- طعم الحنظل – نهر أوروبي ينبع في بيلاروسيا يجري في ليتوانيا ويصبّ في البلطيق – حيوان البف – 4- عائلة طبيب فرنسي راحل مؤسس مدرسة تحليل نفسي هامة – فنانة لبنانية – 5- سلاسل جبلّ بركانية أميركية تُعتبر أعظم جبلّ في العالم – ماركة أقلام مشهورة – 6- متشابهان – من الأشجار المثمرة – 7- ابن داوود النبي قاتل والده كما جاء في التوراة – إله مصري – 8- عائلة أديب فرنسي راحل – أرض يُزرع فيها – علمَ اللغات – 9- ماء طيّب – فترة الحصاد ووقته – 10- عاصمة تنزانيا السابقة

### حلول الشبكة السابقة

**أفقيا**

1- موركس دور – 2- خان الخليلي – 3- بت – واو – 4- اورلي – ما – 5- اوسلو – اوبل – 6- رودس – دتريش – 7- مهب – معي – 8- غاليا – آخ – 9- الوحل – باتا – 10- دولة – كاري

**عمودياً**

1- مخيتار – قاد – 2- وات – و و و – لو – 3- رن – اسد – غول – 4- كارول سماحة – 5- سل – رو – هلّ – 6- دخول – دبي – 7- ولايات – ابا – 8- ريو – ورم – أر – 9- مبيعاتي – 10- ميشال شيحا

### sudoku 3285

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | 4 | 1 | | | 5 | |
| | 5 | 4 | 6 | 9 | | | | 8 |
| | 7 | 1 | | | 3 | 9 | | |
| 5 | | 9 | | 6 | | 2 | | |
| | | | 2 | 3 | | | | 4 |
| 8 | | | | 5 | | | | 9 |
| | | 7 | | | 1 | 8 | 6 | |
| 9 | | | | 7 | | 4 | 1 | |
| | 8 | | 3 | | | | | |

### شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

### حل الشبكة 3284

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 2 | 3 | 1 | 7 | 5 | 8 | 9 | 4 | 6 |
| 7 | 8 | 6 | 1 | 4 | 9 | 2 | 3 | 5 |
| 5 | 9 | 4 | 2 | 6 | 3 | 1 | 7 | 8 |
| 9 | 7 | 2 | 4 | 8 | 5 | 6 | 1 | 3 |
| 4 | 5 | 8 | 3 | 1 | 6 | 7 | 9 | 2 |
| 6 | 1 | 3 | 9 | 7 | 2 | 8 | 5 | 4 |
| 8 | 6 | 7 | 5 | 9 | 4 | 3 | 2 | 1 |
| 3 | 4 | 9 | 6 | 2 | 1 | 5 | 8 | 7 |
| 1 | 2 | 5 | 8 | 3 | 7 | 4 | 6 | 9 |

### مشاهير 3285

عالم رياضيات وفلكي وفيزيائي المانى (1571-1630) كان اول من وضع قوانين تصف حركة الكواكب بعد اعتماد فكرة الدوران حول الشمس. تأثر بكوبرنيك وغاليله

11+2+6+8+4 = عاصمتها موسكو ■ 5+7+9+10 = نقيّد بحبل معدني ■ 1+3 = ضمير منفصل

إعداد نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: نجمة ابراهيم

حول العالم

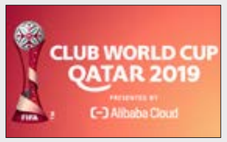


### الكشف عن شعار مونديال الاندية 2019

تم يوم أمس الجمعة الكشف عن الشعار الرسمي للنسخة السادسة عشرة من كأس العالم للأندية في كرة القدم المقررة في قطر من 11 إلى 21 كانون الأول/ديسمبر المقبل. ويطغى اللون العنابي على شعار البطولة الأكبر في عالم كرة القدم الخاص بالأندية، إضافة إلى الفيروزي الداكن.

وأوضح بيان للاتحاد الدولي لكرة القدم «فيفا»، أن العنصر الأوضح في تصميم الشعار الرسمي للبطولة، والذي يستلهم من تاريخ الدولة المضيفة، «هو فكرة تقديم كرة القدم باعتبارها لؤلؤة، ما يستحضر إحدى أقدم الصناعات التي اشتهرت بها قطر».

وتفتتح نسخة 2019 بلقاء السد، بطل الدوري القطري (الفريق المضيف)، مع هيينجين سبورت من كاليدونيا الجديدة بطل القارة الأوقيانية ضمن الدور التمهيدي. وفي الدور الثاني (ربع النهائي) يلتقي الفائز من المباراة الأولى مع مونتيري المكسيكي بطل الكونكاكاف (اتحاد أميركا الشمالية والوسطى والكاريبي)، بينما تجمع المباراة الثانية الترجي التونسي مع المتوج بلقب دوري أبطال آسيا الذي ستحدد هويته في 24 تشرين الثاني/نوفمبر. أما بطل مسابقة دوري أبطال أوروبا ليفربول الإنكليزي، فيبدأ مشاركته في المربع الذهبي بلقاء الفائز من المواجهة الأولى في ربع النهائي، فيما يلعب الفائز من المباراة الثانية في ربع النهائي مع بطل كوبا ليبرتادوريس الأميركية الجنوبية الذي ستحدد هويته في 23 تشرين الثاني/نوفمبر.

### الصين تنفي ادّعاءات الـNBA

نفت الصين أنها طلبت من دوري رابطة المحترفين الاميركية لكرة السلة استدعاء المدير العام لنادي هيوستن روكتس، على خلفية تغريدة نشرها في وقت سابق مؤيدة للتظاهرات في هونغ كونغ المعادية للصين. وقال غينغ شوانغ، متحدث باسم الدبلوماسية الصينية، «لم تنقل أبداً الحكومة الصينية هذا الطلب». وادّعى آدم سيلفر مدير الـ«أن بي إيه» الخميس أن ممثلين من الحكومة الصينية ورؤساء شركات طالبوا بإقالة داريل موريل. وأردف سيلفر قائلاً «أجبنا أنه لا مجال لحدوث ذلك ولا حتى فرض أي عقوبة».

وسبق لسيلفر أن كشف خلال مؤتمر عقد في مدينة نيويورك الاميركية أن تلك المسألة

كانت لها عواقب مالية «كارثية» على الدوري، وأن «الوضع قد يستمر كذلك».

وبدأت الأزمة بين الصين ودوري رابطة المحترفين في تشرين الأول/أكتوبر الماضي حين نشر داريل موريل المدير العام لهيوستن روكتس، تغريدة مؤيدة للمتظاهرين في هونغ كونغ.

الأخبار
al-akhbar
السبت 19 تشرين الأول 2019 العدد 3885

## صورة وخبر

هذا هو المشهد المألوف حاليّاً في بيروت ومعظم المناطق اللبنانية، شمالاً وجنوباً وبقاعاً وجبلاً. مجموعات من المواطنين والمواطنات، يطغى عليها العنصر الشاب، تملأ الساحات والشوارع. كانوا عشرات مساء الخميس على جسر فؤاد شهاب في بيروت، وبساعات قليلة صاروا بالمئات ثم بالآلاف، وعمّوا كل لبنان. تباينت الشعارات المرفوعة بين ساحة وأخرى، لكن هناك يافطة لفتت أنظار الجميع بظرافتها: «لبيك يا واتساب». الانتفاضة التي فاجأت بعفويّتها وجذريّتها وقدرتها على التوسّع والانتشار، فهل ستكون قادرة على الاستمرار وافراز بدائل سياسية؟ (هيثم الموسوي - لبنان)

### التراث المعجمي العربي: ندوة في الـ AUB

أصدر «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» أخيراً كتاب «التراث المعجمي العربي من القرن الثاني حتى القرن الثاني عشر للهجرة» لرمزي بعلبكي (الصورة). لهذه المناسبة، يدعو كرسي الشيخ زايد للدراسات العربية والإسلامية ودائرة اللغة العربية وكرسي جويت للدراسات العربية بعد غدٍ الاثنين إلى حضور ندوة بعنوان «التراث المعجمي العربي: ذاكرة الأمة اللغوية» في «الجامعة الأميركية في بيروت». يشارك في الموعد المرتقب الذي يديره بلال الأرفه لي، كل من: رضوان السيّد وكاثرين مولر ومحمّد العبيدي.

«التراث المعجمي العربي: ذاكرة الأمة اللغوية»: بعد الاثنين ـ الساعة الخامسة بعد الظهر ـ AUB (مبنى عصام فارس ـ شارع بليس). للاستعلام: 01/350000

### عبد الكريم الشعّار: حيرة وطرب

«حيّرت قلبي معاك» (كلمات: أحمد رامي، وألحان رياض السنباطي) هي إحدى روائع الطرب العربي، غنّتها أم كلثوم للمرّة الأولى عام 1961. ضمن مواعيده الشهرية في «مترو المدينة» (الحمرا) الذي يستعيد فيها أعمال «كوكب الشرق»، يؤدّي عبد الكريم الشعّار (الصورة) هذه الأغنية في سهرة تحمل عنوان «بدي احكيلك» في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. ترافق الفنان اللبناني فرقة موسيقية مصغرة مؤلفة من العازفين: محمد نحاس (قانون)، وجانون (أكورديون)، وطوني جدعون (كمنجة)، وفؤاد بو كامل (كونترباص)، وأحمد الخطيب (رق).

حفلة «بدي احكيلك»: السبت 9 تشرين الثاني ـ الساعة التاسعة والنصف مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

### الجيعتاوي أيضاً تحبّ الغرافيتي

تشهد منطقة الجعيتاوي في الأشرفية في 25 تشرين الأوّل (أكتوبر) الحالي افتتاح معرض «غير مرئي غير معروف» الذي يستقبل الزوّار بين 26 من الشهر نفسه و11 تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل (من الساعة 9:00 إلى 18:00). إنّه تعاون بين خمسة فنانين من خلفيات عدّة، يلقي الضوء على منظور مختلف لعالم الغرافيتي غير المرئي. يضمّ المعرض لوحات غير مُعلن عنها سابقاً لفناني الغرافيتي «إكزست» و«سباز» و«مو» و«إبس». أما المصور «إكسو» فيوثّق أعمال هؤلاء وعملية الخلق غير المرئية لفن الغرافيتي.

افتتاح معرض «غير مرئي غير معروف»: الجمعة 25 تشرين الأوّل ـ الساعة السادسة مساءً ـ الجعيتاوي (الأشرفية ـ بيروت). الدخول مجاني. للاستعلام: unknownunseen1@gmail.com

الأخبار
al-akhbar
السبت 19 تشرين الأول 2019 العدد 3885
العدد 3885 السنة الرابعة عشرة
Samedi 19 Octobre 2019 no 3885 14ème

# كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

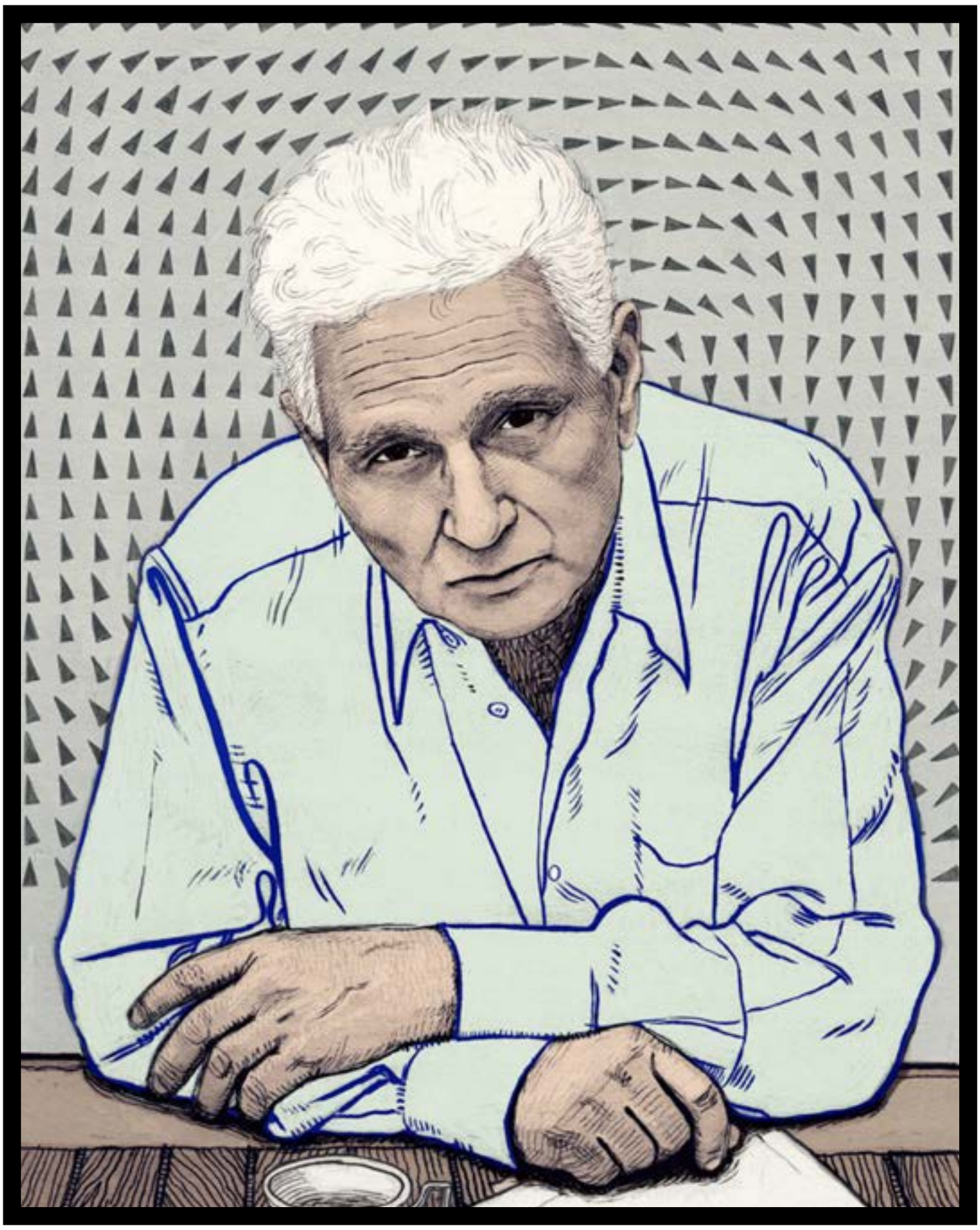

# جاك دريدا إنبعث في أميركا

سعيد محمد

هل تذكرون جاك دريدا (1930 ـ 2004)؟ أحد أهم مفكري ومثقفي الربع الأخير من القرن العشرين، كان نجم الفلسفة الفرنسيّة بلا منازع. نشر في حياته أكثر من 40 كتاباً قدّم فيها طروحات نوعيّة في اللسانيات، والفلسفة، والنقد الأدبي، والسوسيولوجيا، والتأويل الثقافي، والتربيّة، والقانون والدراسات الجندريّة والعرقيّة، وخاض من ورائها معارك جدل شغلت صحف العالم، وأروقة الأكاديميات. حتى إنّه عندما خسر معركته مع السرطان في 2004، لم يكن أقل من مكتب الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) ليعلن خبر رحيله، معتبراً أنّه خسارة لا تعوّض للجمهورية.

يرتبط اسم دريدا دائماً بـ«التفكيك» الذي وضعه كمنهج لعبور النصوص الأدبية والظواهر الثقافية لا يعترف بحدود التخصصات الأكاديمية، ولا يقبل بالظاهر أو الروايات الرسميّة، بل يستنطق أساساً كل ما لم تقله مباشرة وسكتت عنه، معتبراً أن النصّ ليس في النهاية إلا حادثاً، أو هامشاً على شيء أكبر وأعمق، ومجرّد أداة لتشويه الذاكرة لا لحفظها لعقدين من الزّمن، صارت التفكيكية موضة الثقافة المعاصرة مزيحةً الفلسفة الوجوديّة عن عرشها، فدخلت المعاجم اللغويّة، واندرجت في القاموس اليومي للصحافة والنقد والأدب، وأصابت «لوثتها» السينما وأغاني البوب وعالم الأزياء وحتى العمارة. لكن مع اتساع دائرة معجبيه وأتباعه، كان لدريدا أيضاً أعداء وحاسدون كثر، لا سيّما في قلاع الأكاديميا المحافظة الذين وجدوا في تفكيكه نهاية محتّمة لمناهجهم المتكلّسة ونصوصهم المقدّسة. لذا لو قرأت رثاءه في 2004، لوجدت تناقضاً عجيباً بين صورته الإيجابية كما في مقال «ذي غارديان» البريطانيّة، مقابل الهجوم اللاذع الذي شنته عليه «نيويورك تايمز» الأميركيّة.

ولأن العداوات الأكاديميّة لا تُنسى بسهولة، خبا نجم التفكيكية خلال سنوات قليلة من غياب نبيّها وملهمها. تفرق أتباعه، وأعلن كثيرون منهم توبتهم عن الهرطقة التي اتبعوها مع دريدا، بينما أهال دهاقنة الفكر والفلسفة والثقافة والنقد الأدبي كثيراً من التراب على الرجل وأعماله، وانتقلوا سريعاً لما بعد التفكيكية، بغض النظر عمّا عنته تلك فعلياً أو حتى إذا كان لها ثمّة معنى من حيث المبدأ، حتى كاد دريدا وتفكيكيته يختفيان من التداول نهائياً.

لكن بعد 15 عاماً على غيابه، فإن دريدا شبح بدأ يحوم مجدداً في عالمنا. بتنا نرى عودة خجولة وإن متصاعدة للتفكيكيّة إلى واجهة المكتبات، ليس في فضاء الفلسفة والنقد واللسانيات، المحتلّة بالكامل من قبل المحافظين والمدرسيين، بل في مجال التأريخ تحديداً. مع أن المؤرخين لم ينخرطوا فعلياً بموضة التفكيك خلال أيّامها الذهبيّة، واكتفوا بالمراقبة من بعيد، فإن تياراً مهماً في الجامعات الأميركية يعيد اليوم استكشاف تلك المنهجيّة بوصفها لازمة لا يليق إهمالها لكلّ من يريد أن يتحاور مع الماضي، متحرّراً من دوغمائيّات النصوص المُؤسسة، والقراءات المثاليّة للتاريخ التي ـ رغم كل ما فعلته ماديّة ماركس ـ ما زالت النسق السائد في كتابات المؤرخين المعاصرين المنخرطين بقدّهم وقديدهم في ثقافة النخب المهيمنة.

يذهب إيثان كلينبيرغ في كتابه «التاريخ المؤرّق: نحو منهج تفكيكيّ للماضي» (2017) إلى أنه من دون التفكيك، الذي يحتاج إلى شجاعة وقدرة وإبداع قد لا تتوفر للأغلبيّة من الدارسين، فإن كلّ محاولة للتأريخ هي كما خيانة أخرى. يعدنا هذا التيّار المستجد من مفككي التاريخ بنقل فهمنا للعالم إلى مستوى آخر تماماً من خلال إعادة تركيب الأحداث والأشياء والنصوص المتوارثة لبناء تواصل حقيقي مع الماضي. ورغم أن حدود عمل هؤلاء ما زالت محصورة بالدوائر الأكاديمية المستعصية على العموم، إلا أن تراكمها سيشق قريباً حاجز النخبوية وسيجد طريقه حتماً للعقل المعاصر.

ربما مات دريدا، لكن التفكيكية اليوم حيّة ترزق، وستقرع أبواب أبراجكم العاجيّة اليوم أو غداً.

حوار

## الكاتبة المغربية تفكّك الموروث الشعبي في روايتها «انعتاق الرغبة»

# فاتحة مرشيد: أحاول كسر الصورة النمطية عن الأقليات الجنسية

لا تقف الرواية الجديدة «انعتاق الرغبة» (المركز الثقافي للكتاب. الدار البيضاء) للكاتبة المغربية فاتحة مرشيد (1958) عند إشكالية الجندر والتحوّل الجنسي فحسب، بل تتجاوز ذلك لتمتدّ إلى انتقاد المجتمع الذي يعيش فيه الفرد حالات قد تبدو للأغلبية خاصة ومعزولة، وبالتالي مرفوضة، أو على الأقل ينبغي ألا تتجاوز دائرة التستّر والإخفاء. تناقش الرواية الإرث الاجتماعي والديني، وتفتح باب الأسئلة بخصوص العديد من القيمات، أبرزها احترام الخيارات النفسية للآخر، والدفاع عن خصوصية الفرد. لذلك، جاء العنوان منسجماً مع ما تذهب إليه الرواية من طروحات، حيث «انعتاق الرغبة» هو في الأساس انعتاقٌ من قارورة مغلقة هي الجسد. وهي أيضاً نظرة المجتمع إليه. تتوقف الرواية أيضاً عند الطاقات التي يهدرها الفرد في معارك خاطئة، الفرد القادر على انتقاد المجتمع، ومعرفة تفاصيله، لكن الجاهل أيضاً لنفسه، والعاجز عن النظر إليها، وتحويل النقد الخارجي الجاهز إلى نقد داخلي منتج. تعمل فاتحة مرشيد على تفكيك الموروث الثقافي الشعبي، ونقد المتداول الاجتماعي القائم على طمس المشاعر والانحياز لثقافة الأغلبية، الرافض للاختلاف والداعي إلى حياة نمطية متشابهة، يبدو فيها الخارج عن السرب عاقّاً وغير مرغوب فيه. سيكتشف عز الدين متأخراً أنه لا ينتمي إلى الجنس الذي تمثله صورته الفيزيولوجية. سيصارح زوجته التي سترفض الوضع وتطالبه بالرحيل. لذلك سيقوم بتصفية تركة والده ويؤمّن مستقبل ابنه، ثم يغادر باتجاه بلجيكا وبعدها كندا لكونها بلداناً «تكنّ اعتباراً للمتحولين». بعد سنوات طويلة، يتلقى الابن رسالة من والده تشرح له أسباب الرحيل. رسالة مكاشفة قد تكون جارحة، لكنها أيضاً صريحة وموثرة، خصوصاً حين سيعلم الابن أن والده فارق الحياة، وأن الرسالة كانت بمثابة وصية، عن الرواية الجديدة وغيرها من الأعمال، يدور هذا الحوار مع فاتحة مرشيد التي وصلت إلى أرض الكتابة شاعرةً، إذ أصدرت في البداية دواوين عدة من بينها: «إيماءات»، و«ورق عاشق»، و«تمائم نمطير»، و«أي سواد تخفي يا قوس قزح»، قبل أن تتحوّل إلى الرواية سنة 2007. إذ ستصدر «لحظات لا غير»، لتعقبها روايات أخرى هي: «مخالب المتعة»، و«الملهمات»، و«الحق في الرحيل»، و«التوأم». لكنها لم تغادر الشعر، بل أصدرت في موازاة أعمالها السردية مجاميع شعرية أخرى: «آخر الطريف أوّله»، «مالم يُقل بيننا»، «انزع عني الخطى». فضلاً عن كتب أخرى في القصة والمجال المهني. يحسّ متتبع مسار فاتحة مرشيد أنها تغلق عليها ورشتها الأدبية، مؤمنةً في ذلك بأن الكاتب عليه أن ينشغل بما تكتبه يداه، لا بما يوجد بعيداً عنهما. لذلك يلمس قارئ أعمالها هذا الدأب الواضح في تحولات الكتابة لديها وفق مشروع يؤكد أن الكاتبة تعرف تماماً ما تريد.

تقديم وحوار **عبد الرحيم الخصار**

■ لنبدأ من الصفحات الأولى لروايتك الجديدة «انعتاق الرغبة». يقول الأب في رسالة إلى ابنه: «منذ وعيت بالدنيا وأنا سجين جسد ليس لي». عادة ما تقف الروائية العربية في صف الدفاع عن قضايا المرأة وتسعى إلى الكشف عن معاناتها والانتصار لها. علامَ راهنت فاتحة مرشيد وهي تذهب بعيداً عن هذا المنحى، لتطرح مسألة الجندر، ولتفتح بالتالي ملف الجنس الثالث؟

**- بدءاً، حبذا لو نبتعد عن التعميم. لأن كل تجربة إبداعية هي تجربة إنسانية متفردة إن لم نقل استثنائية. والإبداع لا جنس له، وحساسية المبدع غير مرتبطة بجنسه (مذكر أو مؤنث) ولكن بالفنان داخله. إنها مسألة إبداع ومرجعية ثقافية، لهذا أنا لا أتفق مع تسمية الكتابة النسائية. وأعتبر أنني أكتب أدباً إنسانياً لا نسائياً، أدباً ينتصر لجوهر الإنسان، كيفما كان جنسه أو هويته الجندرية، ويعبر عن معاناته في بعدها الإنساني العميق. وفي هذا الصدد جاءت رواية «انعتاق الرغبة» لتضع القارئ أمام تساؤلات فلسفية حول مفهوم الذكورة والأنوثة، الجنس والجندر، وتقربه من واقع الأقليات الجنسية.**

■ يبدو أن الأمهات في المغرب لا تكتمل «سعادتهن إلا بإنجاب الولد». هذا ما تقولينه في إحدى صفحات الرواية. وهذا الوضع يشمل بلدان العالم العربي بشكل عام، لا المغرب وحده. هل ترين أن التفكير العربي ما زال ذكورياً رغم الخطابات المبشرة بالحداثة والتحول الاجتماعي والثقافي؟

**- هذه المقولة تعبر عن واقع ثقافي واجتماعي يرث فيه الذكر ضعف الأنثى، مع أن مسؤولياتها لا تقل عن مسؤولياته، فيصبح إنجاب الذكر بمثابة تأمين مادي يحصّن هذه الأم والأخوات من جشع الأقرباء الذكور. هل التفكير العربي ما زال ذكورياً؟ أجل وسيظل في غياب ثورة ثقافية حقيقية.**

■ يعود الأب إلى طفولته ليسرد لابنه في الرسالة إياها بأن سعادته كانت تكتمل حين كان يجد نفسه مع أخواته في الحمام العربي الخاص بالنساء، وهو دون الخامسة، ثم لاحقاً وهو يرتدي ملابس أخته متقمصاً شخصية صديقتها. هل كنت تحاولين النبش في الماضي لتبرير الحاضر على اعتبار أن الظواهر السيكولوجية لها منابع أساسية في طفولة الإنسان؟

**- أعتقد أن الرواية كانت واضحة في هذا الصدد وبيّنت علمياً بأن التحول الجنسي ليس نتيجة تربية معينة، بل هوية جندرية يولد بها الشخص، وأن الإحصائيات العالمية تقرّ بأن معدل وجود حالات العبور الجنسي هو أكثر لدى الذكور بحيث واحد في كل ثلاثين ألف رجل يحسّ في أعماقه بأنه امرأة، فيما واحد من كل مئة ألف امرأة تحس أن لها روح رجل. وسعادة عز الدين وهو يرتدي ملابس أخته، كانت تابعة لما من إحساس داخلي بمصالحة مع جسده، مع أنه لم يكن بعد واعياً لطبيعة هويته الجنسية.**

■ هناك أيضاً حضور للمتمثل الديني في هذه المسألة، فحين دخل الأب ووجد ابنه يرتدي ملابس أخته، نهره قائلاً: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. الرجال لا يتشبهون بالنساء». وإلا نزلت عليهم اللعنة». كيف تنظر الروائية إلى الخطاب الديني الذي يبدو حاسماً وصارماً في موضوع التحول الجنسي؟

**ـ الخطاب الديني في موضوع العبور الجنسي ليس حاسماً ولا صارماً كما قلت، بل يخضع لتأويلات رجال الدين ومدى إلمامهم علمياً بظاهرة العبور الجنسي. لهذا نجد دولاً إسلامية مثل إيران تحتل المرتبة الثانية عالمياً، بعد تايلاند، في عمليات تغيير الجنس، لأن فتوى الخميني كانت واضحة ومكّنت العابرين من المصالحة مع ذواتهم. كما أن مصر اهتمت بالموضوع وحصل فيها بعض المتحولين على إذن من الأزهر لتغيير الجنس. المسألة مسألة اجتهاد من طرف علماء الدين والأطباء على حد سواء، وهذا ما لم يحصل بعد في المغرب، مع أن الدار البيضاء في السبعينيات والثمانينيات لغاية 1987 كانت قبلة للعابرين والمتحولين جنسياً. كان فيها أشهر طبيب: الدكتور جورج بيرو الذي كان يأتيه المشاهير من العالم بأسره، إلى مصحة الحديقة لإجراء عمليات تغيير الجنس.**

■ عودة إلى الرواية، سيسافر الابن إلى «قرية المثليين» في كندا، حيث عاش والده المتحول جنسياً بعد خروجه من بلجيكا. وحين سيلتقي بفادية الشابة التي كانت تعيش تحت رعاية والده، سيتراجع انتقاده لهذا الأخير. يبدو تعاطفك مع شخصية الأب الذي ينتمي إلى الجنس الثالث تعاطفاً واضحاً ومطلقاً. وأحياناً تنوبين عن شخصياتك في إبداء هذا الموقف، وفي توجيه النقد للمجتمع وللعالم الخارجي. ألا تخافين الوقوع في المباشرة؟

**ـ تعني تعاطف السارد مع والده بعد رفضه له في البداية. باختصار شديد وحتى يستطيع من لم يقرأ الرواية بعد أخذ فكرة عن الحكاية: السارد، وهو جراح تجميل، سيكتشف عبر رسائل تصله من مجهول، السرّ الذي دفع والده إلى الرحيل من المغرب من دون رجعة، والتخلي عنه وهو لا يزال طفلاً في عامه الثاني، وهو كونه متحولاً جنسياً، امرأة في جسد رجل. هذه الرسائل التي خطها والده والتي ستصله بعد وفاته، ستحفزه على السفر مقتفياً خطى هذا الوالد عز الدين ليتعرف على وجهه الآخر بعدما قام بتغيير جنسه ليصبح «عزيزة»، رحلة انعتاق السارد اتخذت صيغة التعلم، لأن كونه جراح تجميل لم يعفِه من جهله بعالم الأقليات الجنسية. تقول عزيزة: «لا أحد يشك في كوني أباك البيولوجي، لكن ما أسعى إليه هو أن أكون أباك الروحي». من هنا سيسهم الأب من خلال السفر بابنه عبر تحليل الذات والمجتمع، في تعبيد الطريق أمامه للخروج أو الانعتاق من أسر السائد والمألوف وتجاوز ثقافة الكسل الأسئلة بداخله، وجعله يجتهد في إيجاد أجوبته الخاصة.**

> تضع الرواية أمامنا تساؤلات فلسفية حول مفهوم الذكورة والأنوثة، الجنس والجندر

■ أريد أن أسألك عن ردود المتلقي العربي بعد بضعة أشهر من صدور الرواية، من خلال لقاءاتك المباشرة مع القارئ، أو من خلال وسائط التواصل الحديثة، خصوصاً فايسبوك وتويتر. كيف تقرأ فاتحة مرشيد ردود القراء، خصوصاً أننا ننتمي إلى مجتمعات عربية محافظة على الأقل ظاهرياً؟

**ـ قد أفاجئك لو قلت بأنه ليس لديّ لا تويتر ولا فايسبوك شخصي، والصفحة التي تحمل اسمي إنما فتحها قرائي، وأنا أشكرهم على كرم اهتمامهم. أما اللقاءات المباشرة التي كانت لي مع طلبة الجامعة، خصوصاً شعبة العلوم الاجتماعية، و«جمعية أصدقاء الفلسفة»، فقد خلفت لديّ إحساساً رائعاً بتعطش شبابنا لكتابات تتجاوز لغة الخشب، وتخوض بصدق وحرية في ظواهر يعرفونها ويصادفونها في حياتهم اليومية، ولكن لا أحد يجرؤ على الخوض فيها. إنه شباب العولمة والانترنت الذي تفتحت عيونه وعقوله على ما يجري في العالم، ولم يعد يطيق هذه السكيزوفرينيا التي يفرضها عليه المجتمع. لقد كانت أسئلة القراء خلال اللقاءات ذكية وفي مستوى عال من الدقة والفضول المعرفي، وتفوق في جرأتها كل توقعاتي. واتضح لي أن مفهوم الجرأة نسبي وهو يتقلص كلما تفتحت عقولنا واتسعت زوايا نظرنا إلى العالم، لأن الجهل بالأشياء يؤدي حتماً إلى الخوف منها وبالتالي محاربتها. ومعاناة العابرين جنسياً مضاعفة. فعلاوة على كونهم يعيشون في جحيم يدفع الثلثين إلى محاولات الانتحار جراء هذا الانفصام الذي لا يطاق بين أجسادهم وأرواحهم، هم كذلك ضحايا خوف المجتمع من الاختلاف، وهو طبعاً خوف عن جهل.**

■ جاء، في ظهر الغلاف على لسان الشخصية أن الأمل ليس هو الحياة بل الرغبة، كيف ذلك؟ وهل الرغبة تقيّد الإنسان أم تحرّره؟

**ـ أجل الأمل انتظار والرغبة حركة. الأمال لا تصنع المعجزات، الرغبات هي التي تصنع المعجزات لأن الإرادة وليدة الرغبة لا الأمل. أما عن الرغبة التي قصدتها في العنوان «انعتاق الرغبة»، فهي الرغبة التي قال عنها الفيلسوف سبينوزا بأنها جوهر الإنسان وماهيته، والرغبة التي قال فيها سرفانتس «أنا أحيا برغبتي في الحياة». الرغبة التي أقصد هي الرغبة في الحياة، وهي الرغبة الأساسية، لأنه لا حياة من دون الرغبة فيها. ومنها طبعاً تتناسل باقي الرغبات.**

**بهذا المفهوم، فالرغبة التي جاءت في الرواية هي التي تحرّر الإنسان، لكن عليه أن يحرّرها أولاً، لأن المجتمع العربي بمعتقداته وسلطاته يقيّد رغبات الفرد، لكن الأسوأ هو عندما يقيد الفرد رغباته بنفسه، ويعيش للآخرين ويستبدل رغباته برغباتهم، لأن «الأسوأ ليس ألا ننتظر شيئاً من أحد، ولكن ألا ننتظر شيئاً من أنفسنا» كما جاء في الرواية.**

■ يلاحظ القارئ تأثير الطب على مجمل أعمالك، كموضوع الموت الرحيم في رواية «الحق في الرحيل» على سبيل المثال لا الحصر. كيف بنيت جسراً بين الطب والأدب؟ ومن أين جاءت فكرة موضوع العبور الجنسي في رواية «انعتاق الرغبة»؟

**ـ الروائي والمبدع عموماً يستفيد من تجاربه الخاصة، والطب بالنسبة إليّ ليس مجرد مهنة. إنه تجربة حياتية تنغرس في قلب الإنساني.**

> الدار البيضاء في السبعينيات والثمانينيات كانت قبلة للعابرين والمتحولين جنسياً (فـ. م)

**وهو كذلك فن في مفترق علوم شتى كما يقال. كطبيبة أطفال حصل أن شخّصت حالات التباس في الأعضاء الجنسية عند بعض المواليد، ما يعرف بالتشوهات الخلقية الجنسية وهم الذين نسميهم بالخنثى. فهم بين الأنوثة والذكورة، وهذه حالات اعتنى بها الطب نوعاً ما والدين كذلك في ما يخص الإرث مثلاً. لكن هؤلاء المواليد الذين يتدخل الطب باكراً في حياتهم ويصحح جنسهم في اتجاه أو في آخر، هل هذا التصحيح سيتماشى لاحقاً مع إحساسهم الداخلي عندما سيصبحون بالغين وستكون لهم حياة جنسية؟ هل سيعكس هويتهم الجنسية أو ما يسمى بالجندر؟**

**هنا يُطرح السؤال، وهذا هو السؤال الأولي الذي تولدت عنه أسئلة أخرى جعلتني أكتشف مثل السارد في الرواية ـ وفي غياب اهتمام مقررات كليات الطب بالموضوع ـ فظاعة جهلي بعالم الأقليات الجنسية. إن كان الطب قد اهتم بحالات الخنثى، فذلك لأن البيولوجيا قد ساعدت على هذا الأمر بجعل حالتهم ظاهرة للعين المجردة. لكن الأمر يختلف بالنسبة لهؤلاء الذين لا يعانون من أدنى التباس في أعضائهم الجنسية. ومع ذلك، هناك التباس من نوع ثان، بل انفصام بين أجسادهم وأرواحهم أو أنفسهم. هذا ما دفعني للقيام ببحث في الموضوع لمدة سنتين، شكّل نواة هذه الرواية.**

■ لم تقتصر الرواية على حالة العور الجنسي، بل نجد تعريفاً بعالم الأقليات الجنسية ككل. لماذا هذا الاهتمام؟ وإلى أي انعتاق تسعى هذه الرواية؟

**- من السهل ملاحظة أنّ هناك جهلاً كبيراً بين أنواعها، ليس فقط في مجتمعنا العربي، وهذا الخلط يؤدي إلى أشياء مؤلمة: مثلاً في إيران التي تُعنى بالمتحولين جنسياً، بحيث تؤدي الدولة نصف تكاليف عمليات تغيير الجنس لكل عابر جنسي، تجبر المثليين على تغيير جنسهم للعيش بأمان (تفادياً لعقوبة الإعدام) مع أنهم ليسوا متحولين جنسياً، وهم راضون كل الرضى عن هويتهم الجندرية. كل هذه الأقليات الجنسية تعاني من خوف المجتمع من الاختلاف، فهل يحق لأحد أن يعاني إرضاءً للآخرين؟ هذا هو السؤال الذي حاولت الرواية الإجابة عنه بتقديم شخوص رفضوا لعب دور الضحايا، بحيث كل واحد من الشخوص الرئيسية للرواية خاض رحلة انعتاق ونجح فيها.**

**عز الدين انعتق من جسد لا يعكس هويته الجندرية، فريد انعتق من ماضيه ومن زواج كبّله ومن الأحكام المسبقة، وفادية كانت امرأة شجاعة انعتقت من ماضيها وقررت مصيرها بنفسها. على العموم، كل ما أتمناه هو أن تسهم هذه الرواية في كسر الصورة النمطية المكرّسة في وعي الناس عن الأقليات الجنسية، وفي تبديد بعض الجهل بمعاناة هذه الأقليات التي ليست سوى وجه من وجوه إنسانيتنا المتعددة.**

■ تبدين أيضاً مشغولة في كتاباتك بالمسألة الوجودية. يتخلل السؤال معظم أعمالك. لكنك لا تبحثين عن أسباب وجود الكائن البشري، بل يتشكّل الأمر لديك على شكل تأملات وأسئلة تتولد عنها أسئلة أخرى. رواية «التوأم» نموذجاً. هل على الروائي أن يكون فيلسوفاً أيضاً؟

**ـ الرواية تجربة إنسانية إبداعية وفكرية تستفيد من كل المجالات المعرفية. وعلاقة الأدب بالفلسفة علاقة في توطد مستمر. لقد استفاد الأدب باختلاف أجناسه من الفلسفة واكتسب عمقاً أكثر، كما استفادت الفلسفة من الأدب لتبسيط مفاهيم معقدة ونشرها على نطاق أوسع. فما خلفه نيتشه من شعر ونثر قرّبنا من فلسفته أكثر، كما أن مسرحيات وروايات جان بول سارتر وألبير كامو جسدت بجمالية مفاهيم الفلسفة الوجودية. الرواية لها قدرة هامة على التبليغ لأنها تخاطب انفعالات كونية عند المتلقي، والانفعال يجعلنا أكثر قابلية للاستقبال لأنه «كي تخاطب العقل، عليك أولاً أن تلامس القلب». لهذا، لا شك عندي في كون الخلفية الفكرية ترقى بالعمل الإبداعي، ومتعة القارئ تكون مضاعفة عندما ينتهي من قراءة رواية ما ويحس بأنه قد كبر حسياً وفكرياً.**

■ «كتبتُ الرواية، لكنّي شاعرة قبل أي شيء». هذا ما صرّحت به مرة. هل الأسبقية للشعر هنا مسألة كرونولوجية فحسب أم فيها تفضيل لجنس أدبي على آخر؟

**- الشعر ليس مجرد كلمات ننسج منها قصائد. إنه طريقة عيش وفلسفة حياة. بهذا المفهوم أقول إنني شاعرة قبل أي شيء، شاعرة في الشعر وفي الرواية وفي الحياة وحتى أثناء ممارستي لمهنة الطب. وليست لدي أدنى مفاضلة بين الأجناس الأدبية. كلها تعبير عن الوجه الجميل لإنسانيتنا.**

فاتحة مرشيد: اكتب أدبا إنسانيا لا نسائيا. أدبا ينتصر لجوهر الإنسان ويعبر عن معاناته في بعدها العميق

بورتريه للشاعرة بعدسة الفوتوغرافية الفرنسية إليس أورتيو كامبيون في الوداية في الرباط

ترجمة

# بول أوستر: مساحاتٌ بيضاء

بعدما كتب الروائي الأميركي بول أوستر (1947) أربعة دواوين شعرية لافتة، وجد نفسه في الرواية. وما هي إلا سنوات حتى صار ممن يُعدّ على الأصابع ضمن الروائيين الأميركيين. يكتب أوستر بنمط من الواقعية الوحشية: وضوح في التفاصيل، أناقة أسلوبية، عناصر رمزية أسلوبية مع سوريالية ذات اهتمامات معرفية وميتافيزيقية، حساسية ما بعد حداثية، مصادفات سينمائية واختراعات مخيالية. من دواوينه: «اختفاءات»، «عملٌ أرضيّ»، و«القصائد الكاملة». كما نشر ترجمات للشاعر الفرنسي مالارميه، والفيلسوف الفرنسيّ سارتر. ومن كتبه النقدية والسيرة: «اختراع العزلة»، «فنّ الجوع»، «الدفتر الأحمر»، «من اليد للفم». حين ننظر إلى شِعر هذا الروائيّ الذي أدار دفّة إبداعه كلياً للرواية، لا نجد غضاضة في تحرّي مفاصل هذا الشِعر. فالقصائد التي يضمها ديوانه «قصائد مختارة» غنائية، متوترة، مفعمة بموسيقى قوية حاذقة بالغة الرهافة. يعمل أوستر في قصائده تحت هيمنة عناصر واعية، حيث يدفع اللغة إلى حافة الانهيار، مما يجعله يضع المنطوق بثوب الحقيقيّ المتغير، كاشفاً عن صوتٍ شعريّ يُخلص دائماً لنبضات رؤاه وأماني أحلامه الواعدة. لكن عالم بول أوستر الشعريّ، والروائيّ من بعده، يتميّز بالبحث في التفاصيل: المصادفة، الوصف المتكرّر لحياة متقشّفة، الإحساس بكارثة وشيكة، السارد المحوريّ لشخوصه، فقدان قدرة الفهم، فقدان قدرة اللغة، وصف الحياة اليومية، الفشل، غياب الأب، التناصّ، التاريخ الأميركيّ. النصّ أدناه من ديوانه: «قصائد مختارة» (لندن ـ 1998)

ترجمة وتقديم **محمد عيد إبراهيم**

شيءٌ يحدثُ، ومن لحظةٍ أن يبدأ يحدثُ، لا يعودُ شيءٌ كما كانَ من قبل ثانية.

شيءٌ يحدثُ. أو آخر، شيءٌ لا يحدثُ. جسمٌ يسعى. أو آخر، إنّهُ لا يسعى. وإن راحَ يسعى، فثمةَ شيءٌ يبدأ يحدثُ. وحتى إن لم يسع، فثمةَ شيءٌ يبدأ يحدثُ.

يأتي هذا من صوتي. لكنهُ لا يقصدُ أن هذه الكلماتِ قد تكونُ هي ما يحدثُ. فهي تأتي وتروحُ. ولو حدثَ وتكلّمتُ في هذه اللحظةِ، فذلكَ فقط لأني آملُ أن أجدَ طريقةً لأن أذهبَ، أركضَ متوازياً مع كلّ شيءٍ آخرَ يذهب معي، وهكذا أبدأ أجدُ وسيلةً لملء هذا الصمتِ من دونِ أن أحطّمَه. أسألُ أياً كانَ مَن ينصتُ إلى هذا الصوتِ أن ينسى الكلماتِ التي قيلَت. ومِن المهمّ أنه لا أحدَ ينصتُ بعنايةٍ. أريدُ لهذه الكلماتِ أن تتلاشَى، حتى أتكلّمَ، في الصمتِ الذي جاؤوا منهُ، ولقاءَ لا شيءَ قد يبقى غيرَ ذكرى حضورهم، رمزاً لحقيقةِ أنهم كانوا هنا يوماً ولم يعودوا هنا من بعد وأنـهُ أثناءَ حياتهم القصيرةِ لا يبدو أنهم قالوا شيئاً على وجهٍ خاصّ قد يكونُ هو الشيءَ الذي حدثَ في الوقتِ نفسهِ بينما كان جسمٌ معيّنٌ يسعى في مكانٍ معيّنٍ، كانوا يسعون فيهِ مع كلّ شيءٍ آخرَ كانَ يسعى.

شيءٌ يبدأ، ولم تعد فعلياً هي البدايةَ، بل شيءٌ آخرُ، يدفعنا في قلب الشيءِ الذي يحدثُ. وإن كانَ علينا أن نقفَ بغتةً لنسألَ أنفسنا «إلى أينَ نذهب؟»، أو «أينَ نحنُ الآنَ؟»، فربما ضِعنا، لأنّ كلّ لحظةٍ نحنُ فيها لم نعد نعرفُ أينَ، لكننا نشعرُ بأنفسنا وراءنا، بما لا رجعةَ فيهِ، في ماضٍ لا ذكرى لهُ، ماضٍ تمحوهُ بلا نهايةٍ حركةٌ تحملنا إلى الحاضر.

لن يُجدي، إذن، أن نسألَ أسئلةً. فهذا مشهدُ نبضٍ عشوائيٍّ، بمعرفةٍ لصالحها ـ كأننا نقولُ، هي معرفةٌ أن توجَد، تأتي للوجودِ ما وراءَ أيّ احتمالٍ لصَوغها في كلماتٍ. ولو حدثَ مرةً أن خلّينا أنفسنا إلى لا مبالاةٍ ساميةٍ من وجودٍ بسيطٍ حيثما يحدثُ أن نكونَ، لربما عندئذٍ لن نخدعَ أنفسنا بالتفكيرِ في أننا، أيضاً، قد نصبحُ أخيراً جزءاً مما يصيرُ على الكلّ.

نفكّر في الحركةِ لا كوظيفةٍ فحسب للجسمِ بل امتدادٌ للعقلِ. وبالطريقةِ ذاتها، نفكّرَ في الكلامِ لا كامتدادٍ للعقلِ بل كوظيفةٍ للجسم. تنبعثُ الأصواتُ من الصوتِ حينَ يدخلُ الهواءُ يحيطنا طافراً ثم يدخلُ الجسمَ الذي يحتلّ ذاكَ الهواءَ، ومع أن الأصواتِ لا تُرى، إلا أنها ليسَت أقلّ من إيماءةِ يدٍ حين نمدّها في الهواءِ نحو يدٍ أخرى، وبهذه الإيماءةِ قد نقرأُ ألفباءَ الرغبةِ كلّها، حاجةَ الجسم أن يؤخَذ فيما وراء نفسهِ، حتى إن استوطن كوناً من حركتهِ الخاصة.

على السطحِ، تبدو هذه الحركةُ عشوائيةً. لكن هذه العشوائيةَ، في حدّ ذاتها، لا تستبعدُ معنى. وإن كان معنى فهو ليسَ بالضبطِ الكلمةَ الموافقةَ، إذن قُل المغزَى، أو الحسّ المثابرَ بما يحدثُ، حتى إن تغيّرَ، لحظةً بعدَ لحظةٍ. وأن نصفَ ذلكَ تفصيلاً فربما ليسَ مستحيلاً. لكننا سنحتاجُ إلى كلماتٍ كثيرةٍ، إلى أنهارٍ كثيرةٍ من المقاطعِ، الجُملِ، والفقراتِ التابعة، لأنَ الكلماتِ دائماً تتخلّفُ عما قد حدثَ، وبعدَ وقتٍ طويلٍ من كلّ حركةٍ توقفَت وكلّ شهودِها قد تبعثروا، يصفُ الصوتُ الحركةَ وهي لا تزالُ تتكلّمُ، وحدَها، لا يسمعها أحدٌ، بعمقِ الصمتِ والعتمةِ من خلفِ حيطانٍ أربعة.

وإن حدثَ شيءٌ، ومع أني بنفسي أريدُ أن أكونَ حاضراً داخلَ مكانَ هذه اللحظةِ، بل هذه اللحظاتِ، وأنَ أقولَ شيئاً، معَ أنه قد يُنسى، لكنهُ سيشكّلُ جزءاً سيصمدُ من هذه الرحلةِ لفترةٍ طويلةٍ من الزمن.

في عالمِ العينِ المجرّدةِ، لا شيءَ يحدثُ لن تكونَ له بدايةٌ ونهايةٌ. معَ أنهُ لا مكانَ قد نجدُ فيهِ المكانَ أو اللحظةَ التي نقولُ فيها، ما وراءَ ظلِّ من الشكّ، هنالك حيث يبدأ، أو حيث ينتهي. لأن بعضاً منا، قد بدأ قبلَ البدايةِ، وآخرين منا سيواصلون ما يحدثُ بعدَ النهايةِ. أين نجدها؟ لا تنظر. إما أنها هنا أو ليسَت هنا. ومن يجرّبُ أن يجدَ ملاذاً بأيّ مكانٍ، وفي أيّ لحظةٍ، فلن يكونَ حيث يظنّ أن يكونَ. وبمعنى آخر، قُل وداعاتكَ. فالوقتُ لا يتأخّرُ أبداً. وهو يتأخّرُ دائماً.

فلنقل إن أبسطَ شيءٍ ممكنٌ. لكيلا نمضي أبعدَ مما كانَ يحدثُ وأجده أمامي. لكي نبدأ بهذا المشهد، مثلاً. أو حتى لنلحظَ الأشياءَ الأقربَ غالباً، كما هو في العالمِ الصغيرِ أمامَ عينيّ، فقد أجدُ صورةً للحياةِ التي توجَد ورائي، كما بوسيلةٍ لا أفهمُ منها تماماً أن كلّ شيءٍ في حياتي كان متّصلاً بكلّ شيءٍ آخرَ، وهو بدورهِ يوصلُني بالعالمِ على اتّساعهِ، العالمِ اللامتناهي الذي يرتسمُ في العقلِ، كشيءٍ مميتٍ ومجهولٍ كالرغبةِ ذاتها.

فلنضعِ الأمرَ بوسيلةٍ أخرى. فمن الضروريّ أحياناً أن لا نُسمّي الشيءَ الذي نتكلّمُ عنه. فالربّ غيرُ المنظورِ عندَ العبرانيين، مثلاً، لهُ اسمٌ غيرُ منطوق، وكلّ اسمٍ من ناموس التسعِ والتسعين يُعزَى إلى هذا الربّ لم يكن في الحقيقةِ أكثرَ من وسيلةٍ لمعرفةٍ لا يمكن النطقُ بها، فهو لا يمكنُ رؤيته، وبالتالي فلا يمكنُ إدراكهُ. وحتى إن كانَ على منبَسطٍ أقلّ سمواً، في عالمِ المرئيّ نفسهِ، فنحنُ غالباً ما نُكبَح عن إفشاءِ سرّ الشيءِ الذي نتكلّمُ عنه. فلننظر إلى كلمة it. نقول «إنها» تمطرُ، وأنّى لـ «it» أن تذهبَ؟ نحسّ أننا نعرفُ ما نقولهُ، وما نقصدُ أن نقولَه هو أن «it»، كلمة «it»، تشيرُ إلى شيءٍ لسنا في حاجةٍ لأن نقوله، أو شيءٍ لا يمكنُ أن يُقالَ. وإن كانَ الشيءُ الذي نقولهُ يروغُ منا، فثمةَ شيءٌ لا ندركهُ، كيفَ نلحّ في قولِ إننا ندركُ ما نقولُ؟ وإن كان يمضي دون أن نقولَ إننا ندركهُ. كلمةُ «it»، مثلاً، في الجملةِ السابقةِ، «يمضي دون أن نقول»، هي في الحقيقةِ لا شيءَ عدا أنها تدفعنا إلى فعلِ الحديثِ نفسهِ. وإن كانَ، فكلمةُ «it»، هي ما يتواترُ دائماً في أيّ جهدٍ لتعريفها، فهي مقبولةٌ كالعطيةِ، كشرطٍ مسبقٍ لما نقولُ. قيلَ، مثلاً، إن الكلماتِ تدحَضُ الشيءَ الذي يحاولون قولَه، لكن حتى أن نقولَ «تدحضُ» فمعناهُ أن نعترفَ بأنَ «تدحضَ» صحيحة، أي أنها تخونُ الحقيقةَ الضمنيةَ في قوةِ كلماتٍ تقولُ ماذا يُقصَدُ أن يُقالَ. معَ ذلك، حينَ نتحدّثُ، فنحنُ غالباً لا نقصدُ أن نقولَ أيّ شيءٍ، كما في الحالةِ الحاليةِ، التي أجدُ فيها هذه الكلماتِ تتساقطُ من فمي لتتلاشَى في الصمتِ الذي جاءت منهُ. بمعنى آخرَ، إنها تقولُ نفسَها، وأفمامنا هي فحسبُ مجردُ آلاتٍ لما نقولُ. كيف يحدثُ هذا؟ لكننا لا نسألُ عما يمكن أن تُحدثهُ «it». نعرفُ، حتى لو لم نصغها في كلماتٍ. ويبقى الشعورُ داخلنا، أننا نقدّرُ معرفةً مفعمةً بالتناغمِ مع العالمِ، وليسَت في حاجةٍ أياً كانت لأن تَسقطَ من أفمامنا. تعرفُ قلوبنا ما فيها، حتى لو ظلّت أفمامنا صامتةً. وسيعرفُ العالمُ كنهَها، حتى لو لم يبقَ شيءٌ في قلوبنا.

يشرعُ رجلٌ في رحلةٍ إلى مكانٍ لم يزرهُ من قبلُ. يعودُ رجلٌ آخرُ. يأتي رجلٌ إلى مكانٍ لا اسمَ لهُ، لا معالمَ لتخبرَه أين هو. يقرّرُ رجلٌ آخرُ أن يعودَ. رجلٌ يكتبُ رسائلَ من لا مكانٍ، من مساحةٍ بيضاءَ قد افتتحَها في عقلهِ. الرسائلُ لم يتسلمها أحدٌ. الرسائلُ لم تُرسَل قطّ. يشرعُ رجلٌ آخرُ في رحلةٍ بحثاً عن الرجلِ الأول. يصبحُ هذا الرجلُ الثاني أكثرَ وأكثرَ شبهاً بالرجلِ الأول، حتى أنهُ، أيضاً، يبتلعهُ البياضُ. يشرعُ رجلٌ ثالثٌ في رحلةٍ من غير أملٍ في أن يصلَ إلى أيّ مكانٍ. فهو يجولُ. يواصلُ التجوالَ. طالما أنه يبقى في عالمِ العينِ المجردةِ، يواصلُ التجوالَ.

ألبثُ في الحجرةِ التي أكتبُ فيها هذا. أضعُ قدماً أمامَ الأخرى. أضعُ كلمةً أمامَ الأخرى، وفي كلّ خطوةٍ أتّخذُها أضيفُ كلمةً أخرى، كأنَ كلّ كلمةٍ كي تُقالَ فثمةَ مساحةٌ أخرى عليّ أن أعبرها، مسافةٌ عليّ أن أملأها بجسمي وهو يسعى عبرَ هذه المساحة. إنها رحلةٌ عبرَ مساحةٍ، حتى إن لم أجد أيّ مكانٍ، حتى لو انتهيتُ إلى المكانِ نفسهِ الذي بدأتُ منهُ. هي رحلةٌ عبرَ مساحةٍ، كأنها إلى مدنٍ عدّة، وللخروجِ منها، كأنها عبرَ فلواتٍ، كأنها إلى حافةِ بحرٍ تخَيليّ، حيث تغرقُ كلّ فكرةٍ في أمواجٍ صارمةٍ من الحقيقيّ.

أضعُ قدماً أمامَ الأخرى، ثم أضعُ القدمَ الأخرى أمامَ الأولى، حيث تصبحُ الأخرى من جديدٍ هي الأولى. أسيرُ في غضونِ هذه الحوائطِ الأربعِ، وطالما كنتُ هنا فبإمكاني أن أمضيَ لأيّ مكانٍ أحبّ. قد أذهبُ من طرفٍ بالحجرةِ إلى الآخر وألمسُ أياً من الحوائطِ الأربعِ، أو حتى الحوائطَ أجمعَها، واحداً إثرَ آخرَ، كما أحبّ بالضبطِ. وإن حرّكتني الروحُ، فقد أقفُ بمنتصفِ الحجرةِ. إن حرّكتني الروحُ في متّجهٍ آخرَ، لاستطعتُ أن أقفَ في أيٍّ من الزوايا الأربع. ألمسُ أحياناً إحدى هذه الزوايا الأربعِ وبهذه الطريقةِ أستجلبُ نفسي إلى اتّصالٍ مع حائطَين في الوقتِ نفسهِ. بينَ حينٍ وآخر أدعُ عينيّ تطوفان إلى السَقفِ، وحينما أُستنفَد على نحوٍ خاصّ من جهودي هناك، فثمةَ أرضيّةٌ دائماً لترحّبَ بجسمي. النورُ، يتقاطرُ عبرَ النوافذ، لا يوزّعُ الظلّ نفسَه أبداً مرتين، وفي أيّ لحظةٍ معطاةٍ أشعرُ بنفسي على شفا ما أكتشفهُ من حقيقةٍ مفزعةٍ لا يمكن تصوّرها. وهي لحظاتٌ تمثّلُ عندي سعادةً قصوى.

في مكانٍ ما، كأنهُ غيرُ مرئيٍّ، وأقربُ إلينا مما ندركهُ (عبرَ الشارعِ، مثلاً، أو في حيٍّ مجاورٍ)، فثمةَ شخصٌ يولَد. في مكانٍ آخرَ، تسرعُ سيارةٌ على طولِ طريقٍ دائريٍّ شاغرٍ بمنتصفِ الليلِ. في تلكَ الليلةِ ذاتها، رجلٌ يدقّ مسماراً في طاولةٍ. لا نعرفُ شيئاً عن أيٍّ من هذا. تشطأ بذرةٌ غيرُ مرئيةٍ في الأرضِ، ولا نعرفُ شيئاً عنها. أزهارٌ تذوي، بناياتٌ تصعدُ، أطفالٌ تبكي. ومن هذا كلهِ، لا نعرفُ شيئاً.

هذا يحدث، وبينما يواصلُ حدوثَه، ننسى أينَ كنا حين بدأنا. وفيما بعدُ، حينَ نسافرُ من هذه اللحظةِ أبعدَ مما سافرنا من البدايةِ، سننسى أينَ نحن الآنَ. وأخيراً، سنرجعُ كلّنا للبيتِ، وإن كانَ هناكَ بيننا مَن لا بيتَ لديهِ، فمن المؤكّدِ، على رغمِ ذلك، أنهم سيتركون هذا المكانَ إلى أيّ مكانٍ عليهم أن يذهبوا إليهِ. وإن لم يكن شيءٌ آخرُ، فالحياةُ قد علّمتنا بهذا شيئاً واحداً: أياً كانَ مَن هنا الآنَ فلن يكونَ هنا في ما بعدُ.

أكرّسُ هذه الكلماتِ لأشياءٍ في حياةٍ لا أفهمها، لكلّ شيءٍ عابرٍ بعيداً أمامَ عينَيّ. أكرّسُ هذه الكلماتِ لاستحالةِ أن أجدَ كلمةً توازي الصمتَ في داخلي.

في البدايةِ، أردتُ أن أتحدّثَ عن الأذرعِ والسيقانِ، عن القفزِ والهبوطِ، عن أجسامٍ تتعثرُ وتدورُ، عن رحلاتٍ مهولةٍ عبرَ المكانِ، عن مدنٍ، عن فلواتٍ، عن سلاسلَ جَبليةٍ تمتدّ أبعدَ مما تراهُ العين. ورويداً رويداً، على أيّ حالٍ، كما بدأت هذه الكلماتُ تفرضُ نفسَها عليّ، بدَت الأشياءُ التي أريدُ أخيراً غيرَ ذاتِ أهميةٍ. فهجرتُ، مُكرَهاً، قصصي الرائعةَ إجمالاً، مغامراتي كلّها عن أماكنَ متباعدةٍ، وبدأتُ، ببطءٍ، وبألم، أستفرغُ بالي. الفراغُ الآنَ هو كلّ ما يتبقّى: مكانٌ، لا يهمّ إن كانَ صغيراً، لأنهُ مهما حدثَ فهو المسموحُ لهُ بأن يحدثَ.

ولا يهمّ إن كانَ صغيراً، فكلّ احتمالٍ يلبثُ. حتى الحركةُ تتقلّصُ إلى غيابٍ ظاهرٍ للحركةِ. فالحركةُ، مثلاً، منمْنَمةٌ كالتنفّسِ ذاتهِ، كالحركةِ التي يُحدثها الجسمُ عندَ الشهيقِ والزفير. في كتابٍ قرأتهُ يوماً، للمستكشفِ القُطبيّ الشهيرِ، بيتر فروتشين (1)، يصفُ كيفَ احتجزتهُ عاصفةٌ ثلجيةٌ شماليّ جرين لاند. وكانَ وحدَهُ، تناقصَت مؤنهُ، فصمّمَ أن يبني كوخاً مقبّباً حتى تغورَ العاصفةُ. ومرت أيامٌ عدة. كانَ خائفاً، فوقَ هذا كلهِ، أن تهاجمَه الذئابُ ـ فقد سمعَها تجوسُ على سطحِ كوخهِ ـ وعليهِ أن يخطو خارجاً على نحوٍ دَوريّ وهو يغنّي بملءِ رئتَيهِ ليخيفَها كي تبتعدَ. لكن الريحَ كانت تهبّ بعنفٍ بالغٍ، ومهما كان غناؤهُ عصياً، إلا أنه لَم يكن يسمعُ غيرَ الريح. وإن كانت هذه مشكلةً خطيرةً، عموماً، إلا أن مشكلةَ كوخهِ نفسه كانت أفدحَ. فقد بدأ فروتشين يلاحظُ أن حوائطَ مأواهُ الصغيرِ راحَت تنغلقُ عليهِ تدريجياً. بسببِ الأحوالِ الطقسيةِ بالخارجِ على نحوٍ خاصّ، كان تنفّسهُ يتجمّدُ حرفياً على الحوائطِ، ومعَ كلّ نفَسٍ تصبحُ الحوائطُ كثيفةً أكثرَ، وصارَ الكوخُ أصغرَ كثيراً، حتى لم يعد ثمةَ فراغٌ تقريباً لجسمهِ. وهو شيءٌ مرعبٌ بالتأكيدِ، أن تتصوّرَ أنفاسكَ وهي تُحيلكَ كَفَناً من ثلجٍ، وخطرَ ببالي أنها تُخضعه أكثرَ وأكثرَ، لنقُل، إنها مثلَ قصةِ بو (2) «الحفرةُ وبندولُ الساعة». في هذه الحالةِ فالرجلُ نفسهُ هو مُعاملُ هلاكهِ، بل أبعدُ، فأداةُ هذا الهلاكِ أقربُ شيءٍ هو في حاجةٍ إليهِ ليحفظَ نفسَه حياً. فالإنسانُ قطعاً لا يستطيعُ الحياةَ إن لم يتنفّس. لكنه في الوقتِ نفسهِ، لن يعيشَ إن تنفّسَ. ومن فضولي الشديدِ، لا أتذكّرُ كيفَ توصّلَ فروتشين أن ينجو من وَرطتهِ. لكن لا حاجةَ بنا للقول: إنه نجا. وعنوانُ الكتابِ، كما أتذكّرُ، كانَ «مغامرةٌ قُطبيةٌ». وقد نفدَت طبعتهُ من سنواتٍ عدة.

لا شيءَ يحدثُ. مع ذلكَ، فهو ليس لا شيءَ. كي ننشُدَ الأشياءَ التي لم تحدُث، أمرٌ نبيلٌ، لكن كَم هو فاتنٌ أن نلبثَ في عالمِ العينِ المجردةِ.

علينا أن نستنتجَ هذا: أن كلّ شيءٍ محسوبٌ، أن كلّ شيءٍ هو جزءٌ من كلّ شيءٍ، حتى الأشياءُ التي لا أدركُ أو لا أستطيعُ أن أدركَ. كالرغبةِ، مثلاً، في تدميرِ كلّ ما كتبتهُ حتى الآنَ. ليسَ من أيّ نفورٍ لعدمِ مواءمةِ هذه الكلماتِ (مع أنها تبقَى احتمالاً بارزاً)، بل بالحَريّ من حاجتي لتذكيرِ نفسي، في كلّ لحظةٍ، أن الأشياء لا يجبُ أن تحدثَ بهذه الطريقةِ، أنه ثمةَ دائماً طريقةٌ أخرى، سواءً أفضلُ أو أسوأ، في ما قد تتشكّلُ به الأشياءُ. أدركُ في النهايةِ أني قد صرتُ خائرَ القوى في التأثيرِ على الناتجِ حتى بأدنى شيءٍ يحدُثُ، لكن، معَ ذلك، وعلى الرغمِ من نفسي، فهو فعلٌ من حقيقةٍ عمياءَ، كما أريدُ أن أفترضَ بمسؤوليةٍ كاملةٍ. وتتولّدُ عندي هذه الرغبةُ، هذه الحاجةُ الغامرةُ، أن آخذَ هذه الأوراقَ وأبعثرَها عبر الحجرةِ. أو أمرٌ آخر، أن أواصلَ. أو أمرٌ آخر، أن أبدأ من جديدٍ. أو أمرٌ آخر، أن أواصلَ، كأن كلّ لحظةٍ كانت البدايةَ، كأن كلّ كلمةٍ كانت بدايةَ صمتٍ آخرَ، وكلّ كلمةٍ أخرى كانت أكثر صمتاً من الأخيرةِ.

حفنةُ قصاصاتٍ من ورقٍ. السيجارةُ الأخيرةُ قبلَ أن آوي للفِراشِ. الثلجُ يهمي بلا انقطاعٍ في هذا الليلِ الشتويّ. عليّ أن ألبثَ في عالمِ العينِ المجردةِ، سعيداً كما أنا الآنَ في هذه اللحظةِ. وإن كانَ ثمةَ الكثيرُ لأسأله، فهو يستحقّ ذكراهُ، كوسيلةٍ للعودةِ إليهِ في عتمةِ هذا الليلِ الذي سيغمُرني قطعاً من جديدٍ. فلن أكونَ بأيّ مكانٍ سِوى هنا. ولسوف تستمرّ الرحلةُ المهولةُ عبرَ المكان. بأيّ مكانٍ، كأن أيّ مكانٍ كانَ هنا. والثلجُ يهمي بلا انقطاعٍ في هذا الليلِ الشتويّ.

1- فروتشين: (1886/ 1957)، رحالة دانمركيّ وكاتب سيرة، لاستكشاف القطبين. (م)

2- آلن بو: (1809/ 1849)، كاتب وشاعر وقاص، يتميز فنه بالغموض والألغاز. (م)

سبيدي غرافيتو ـ «الوحدة الجنة» (أكريليك وماركر على كانفاس ــ 100 × 100 سنتم ـ 2019)

شعر

# سبع قصائد

**أمارجي ***

## رعْشَةٌ

أوَّلَ المساء
بينَ زهرةٍ نجميَّةٍ تَنغلق
وزهرةِ آلوسَنَ تتفتَّح
ينبسطُ قلبي
وينقبض.

## إصْحَاحٌ

صاعداً درباً جبليَّةً تحتَ الغسق
– صيحةٌ وقواقٍ مُعارٍ من أعمال اليوم الخامس للتَّكوين
تمزِّق معموديَّةَ الوزَّالِ في صُفْرَتِه –
على شجرةِ الزَّمزريق
رأيتُ دمي.

## سم

أربطُ النَّهرَ إلى صخرةٍ وأجري
أربطُ الغيمةَ إلى عمودِ تلغرافٍ وأجري
أربطُ الرِّيحَ إلى شجرةِ سروٍ وأجري
أربطُ الموجةَ إلى سفينةٍ جانحةٍ وأجري
وراءَ السِّرِّ الذي
كانَ يجري إليه
النَّهرُ والغيمةُ والرِّيحُ والموجة.

## دائرةٌ

شَعرُكِ يبدأ المياهَ
التي تبدأ الشَّمالَ
الذي يبدأ الشُّوحَ
الذي يبدأ المسوَّدَةَ
التي تبدأ اللَّيلَ
الذي يبدأ شَعرَكِ.

## حُبٌّ

خُذيني في نُسغكِ يا أشجار
خُذيني في مائكِ يا غُيوم
خُذيني في غنائكِ يا بلابل
أنا ذائبٌ حُبّاً
خُذيني في دمكِ يا حبيبتي
في رئتيكِ
في عظامكِ
خُذيني فيكِ، هاتيكِ فيَّ.
2019/8/2

## كِتابةٌ

ما تزالُ الورقةُ بيضاء. النَّافذةُ والمرآة تتناوبان
زنبقةَ الفراغ الجيومتريَّة. السَّناجبُ
في مساءِ غابةِ السِّنديان شبه العزريِّ المجاورة
خربشاتٌ سُودٌ. الورقةُ بيضاء.

## غابةٌ

من جنسٍ واحدٍ قلبي وزهرةُ الختميَّة
من جنسٍ واحدٍ قلبي ونحلةُ العسل
من جنسٍ واحدٍ قلبي والوروارُ الأخضر
من جنسٍ واحدٍ قلبي وعوسقُ الصُّخور
(غيابُكِ غابةٌ)
بعضُ قلبي فيها يأكلُ بعضاً.

* سوريا

فكر

# «غرق الحضارات» أم غرق أمين معلوف؟

مصطفى شلش

عن «دار الفارابي»، صدرت النسخة العربية (ترجمة نهلة بيضون) من كتاب «غرق الحضارات» للكاتب والروائي اللبناني أمين معلوف بعدما نشرت النسخة الفرنسية مطلع ربيع 2019 عن «دار غراسي» (باريس). يحاول أمين معلوف في مؤلّفه «غرق الحضارات» أن يفكّك الأوضاع الراهنة في العالم الغربي تحديداً، كما يعرّج على دراسة الأوضاع في الوطن العربي، كعرّاف أو ناظر إلى بلّورة سحرية ليستقرئ التاريخ العربي بوصفه درباً من الظلامية. يشير معلوف إلى الظلمات التي اكتسحت العالم العربي بدءاً من بلاده لبنان ومصر والعراق وسوريا، لاجئاً إلى الطريق السهل في التفسير ألا وهو أن العالم العربي اختار «الطريق الخطأ»، بسبب إخلالات حركة النهضة العربية التي بدأت منتصف القرن التاسع عشر. وهو يعتبر أنّ المجتمعات العربية لم تتمكن من الاستجابة الفعلية لدعوات الإصلاح والتحديث، بل ظلّت مشدودة إلى الماضي، رافضة اللحاق بركب الحضارة الغربية!

رفض الشعوب العربية «للتقدم» جاء في نظر معلوف إبان نيل البلدان العربية استقلالها، وخلاصها من الهيمنة الاستعمارية، واختيارها أنظمة حكم متسلّطة وفاسدة حكمت الشعوب بالحديد والنار، على حد تعبيره. هذا ما ضاعف من تخلف الوطن العربي وأزماته، بالإضافة إلى السماح للحركات الأصولية المتطرفة باكتساح المجتمعات العربية، موهمةً إياها بأنها قادرة على ضمان العيش الكريم لها في الحياة الدنيا، والجنة في الآخرة.

وكعادة المثقف المُحب للكليشيهات، لم ينسَ أمين معلوف أن يحمّل النظام الناصري وجمال عبد الناصر مسؤولية ما حدث في العالم العربي من كوارث وأزمات. يبدأ أولاً بالاستخفاف بالجماهير ـ فهي قطيع ما دامت ضد رغبة المثقف العربي ـ حيث استطاع جمال عبد الناصر خداعها وكسب ثقتها من المحيط إلى الخليج، رافعاً شعار الوحدة العربية. لكنه لم يكن واعياً إلى تحديات المرحلة، وجاهلاً بالحلول التي لم يستطع أن يقدّم أيّاً منها. وعوض أن يقوم بالإصلاحات الضرورية واللازمة، قام عبدالناصر بالآتي: «تدمير الاقتصاد المصري، وأشاع المشاعر الشوفينية، واضطهد الأقليات التي كانت ضامنة لنجاح التعايش الثقافي والحضاري والديني. وفي النهاية، قاد بلاده والعالم العربي بأسره إلى هزيمة حرب67، التي لا تزال جراحها مفتوحة إلى حدّ هذه الساعة». الفقرة الأخيرة التي يكيل معلوف فيها الاتهامات لعبد الناصر، تذكرنا بمشهد من مسرحية «الزعيم» لعادل إمام، عندما اعترف بسيل من الجرائم، وأنهاها بأنه أيضاً سبب خروج السعودية من كأس العالم. وأكمل لمن يستجوبه: «أي قضية عندكم مستعد أعترف بيها». هكذا تعامل أمين معلوف مع ما أسماه «غرق الحضارة» في الوطن العربي، رغم أن مقدّمي الكتاب بطبعته الفرنسية وصفوا معلوف بأنه «دارس بدقة وواقعية بل إنه الملاحظ المتشبث بعقلانيته في زمن الجنون، والعنف، والإرهاب الأعمى، والمخاطر الجسيمة التي تهدد البشرية، سواء كانت اقتصادية، أم سياسية، أو ثقافية وحضارية». بخلاف ذلك، فإن قارئ الكتاب وطرح أمين معلوف، يجده قد استبعد كل الأبعاد التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، وتمسك بالسردية التقليدية لليبراليين التي تدّعي أن التطور ومواكبة العصر، تتمحور حول التبعية للغرب، وبالسير على الطريق الغربي، شبراً بشبر وذراعاً بذراع. لكن من الواضح أن قضية التخلف العربي لا تمثل لمعلوف إلّا تأخراً تاريخياً ونقصاً كمياً في الموارد البشرية والأفكار سيعالجه الزمن، وسيساعدنا كرم الغرب في مدّنا باللازم للتخلص من تأخرنا. وبرغم أن ثنائية «التخلف/ التقدم» قد شكّلت السؤال التاريخي الأساس للعرب منذ قرن على الأقل حسب الباحث والأكاديمي علي القادري في كتابه «تفكيك الاشتراكية العربية» (2016)، إلا أننا نواجه بين حين وآخر مثقفين أكثر أصولية وسلفية في تصوراتهم عن العالم، خصوصاً من يظنون أنهم يقدمون إجابات للأسئلة المحورية تاريخياً. بل الأخطر من هذا أن صياغات معلوف للتاريخ العربي ما هي إلا اتهامات تفتقر إلى أي دليل، لكنها تتوافق مع أهواء ومزاج النخب الغربية. لذا رغم الثناء والمديح لأفكارهم النقدية في الأوساط الغربية والخليجية، فإنها لم تخرج تقريباً عن اجترار أفكار صراع الحضارات ونهاية التاريخ ومخلّفات الفكر الإمبراطوري الأميركي لفرانسيس فوكوياما (1952) وصامويل هنتنغتون (1927-2008). تحدّث أمين معلوف عن تدمير عبد الناصر للاقتصاد المصري بل العربي عموماً. لكن حين نقرأ ما يُورده علي القادري في كتابه «تفكيك الاشتراكية العربية» (ترجمة الباحث مجدي عبدالهادي) من أرقام مُختارة على سبيل المقارنة بين المرحلتين الأساسيتين في التاريخ العربي الحديث وهما: مرحلة الاشتراكية العربية (1960-1979)، ومرحلة الليبرالية الانفتاحية (1980-2011)، وخصوصاً مصر وسوريا والعراق ـ وهي دول تعرضت بشكل مباشر لآثار الحقبة الناصرية ـ سنجد أن هذه الأرقام ذات اتجاه وعنوان واحد نفهمه ضمناً خلال الفترتين، هو «التراجع الكبير». فقد تراجع معدّل نمو الناتج المحلي الإجمالي في سوريا والعراق ومصر من 7,1% و10% و5,5% إلى 4 % و4,9% و4,3% على التوالي، ومعه تراجع معدل نمو حصة الفرد من ذلك الناتج في البلدان الثلاثة من 3,8 % و6,8% و3,5% إلى 1,2% و2,1% و2,3% على التوالي كذلك، وتراجع معدل نمو إنتاجية العامل من 4,5% و8,6% و3,3% إلى 0,5% و1,2% و2,2%، فيما زادت متوسطات معدلات التضخم من حوالى 5% للدول الثلاث إلى 13% في مصر و26% في العراق و15% في سوريا. وارتفعت معدلات البطالة من 4,2% و5,2% إلى 10,9% و13,2% في سوريا ومصر على التوالي. كما ارتفع متوسط خدمة الدين العام كنسبة من الدخل القومي من 2% و3% إلى 4% لكلٍّ من البلدين؛ بما يظهر تفاوتاً مُعتبراً ـ وهائلاً أحياناً ـ في المؤشرات الأساسية كافة لصالح فترة الاشتراكية العربية (الحقبة الناصرية المُهاجمَة) في الأداء الاقتصادي الكلي، خلافاً للأساطير الشائعة التي تأثر بها أمين معلوف.

اتهامات تتوافق مع أهواء النخب الغربية التي تجترّ أفكار فوكوياما وهنتنغتون

أما عن صعود التيارات السلفية والوهابية التي لا تختلف في قراءتها للواقع العربي عن أمين معلوف، لكن كلّ من خندقه الحتمي، فإن الفريق الأوّل يتعلّق بالجنّة السماوية، والفريق الليبرالي/ أو المتغرب الثاني يتعلّق بالفردوس الغربي. والمضحك أن كلا الطرفين ينتقدان الاشتراكية لجمودها! إلا أنهما يرفضان بناء نظرة جدلية اجتماعية واقتصادية حتى في قراءة التاريخ، كما يرفضان تقديم أيّ تفهم للظرف السياسي الدولي الذي أعقب حرب 1973 عندما قفز السادات إلى أحضان أميركا التي بلعت المنطقة كلها عبر منظمات أممية ودولية كصندوق النقد والبنك الدولي لتحاصر البلدان العربية، خصوصاً تلك البلدان التي وضعها معلوف محل تحليله كمصر وسوريا والعراق... فارضة برامج شديدة لإعادة الهيكلة النيوليبرالية، مُحيلةً كل الأسواق العربية إلى مجرّد وجهات لعرض منتجاتها ومفرغةً المجتمعات العربية من رأس مالها الأجنبي وحتى رأس مالها الفكري. وقد استعانت من أجل امتصاص رأس المال النقدي بالشركات العابرة للقارات وبحالة السيولة تحت غطاء «العولمة». كما امتصت رأس المال الفكري عبر القوى الدينية، وخصوصاً «الإسلام السياسي» فدعمته بأموال الخليج، وفتحت معه اتصالات من قنوات خلفية بوصفه الوريث الشرعي للأنظمة التي تتهاوى في المنطقة وخصوصاً بعد انهيار السوفييت لتضمن القضاء على أي فكر يساري أو تقدمي أو وطني، فلم يعد هناك شيوعيون.

أخيراً، يمكن التطرق إلى نقد وتفكيك كل نقطة في كتاب أمين معلوف «غرق الحضارات» المكتوب من برج باريسي، لكن نكتفي بهاتين النبذتين لنشير إلى أننا في أزمة ثقافية حادة. إذ لم يعد مثقفونا العرب يقرأون ولو بشكل بسيط واقعنا وتاريخنا قبل إطلاق كتبهم ودراساتهم «العبقرية»!

سياسة

# تركيا والنزاع على الشرق الأوسط: راهنية المسألة الكردية دائماً

يوسف أصفر

نصيحة روبرت فيسك، على الغلاف، لا تجعل قراءة الكتاب أمراً مشجعاً، خاصةً بعد «هفوات» المستشرق الكثيرة. لكن، كما يقال، الحدث يفرض نفسه. والحدث اليوم، يتمثل بالحرب التركية على الأكراد في شمال سوريا. هذا الحدث حافز لقراءة كتاب «تركيا والنزاع على الشرق الأوسط» للصحافية والباحثة التركية ازغي باشاران (دار الساقي ـ ترجمة عماد شيحة). لكن عنوان الكتاب أكبر من مضمونه. ليس لأن عمل ازغي باشاران تنقصه الحرفية، إنما لأن موقع تركيا في الصراع على الشرق الأوسط، يتجاوز المسألة الكردية، من دون أن يلغي هذا أهمية المسألة. رغم ذلك، فإن فصول الكتاب تدور معظمها حول هذه الأزمة، وتتكل بشدة على عمل باشاران الصحافي في «الميدان»، قبل انتقالها إلى سانت أنتوني في أوكسفورد، حيث وضعت كتابها. اللافت، أنها في مقدمتها، التي صيغت قبل بدء العمليات العسكرية الأخيرة في عين العرب، توقعت أن المناخ بعد عفرين سيكون مؤاتياً لاستئناف السلام التركي – الكردي، مع أن هذه مهمة جسيمة. وعلى غرار الباحثين الذين يصيرون متفائلين فجأة عندما يصلون إلى الغرب، اعتقدت باشاران أن عملية السلام هي الأمر الوحيد الذي سيضع البلاد على درب ديموقراطي مستقر. لكنها تبقى محقة في ذلك، إذ بيّنت الأحداث أن المنطقة مفتوحة على أزمات طويلة بسبب غياب هذه العملية. أما ما تسميه الباحثة «الوضع الجديد بالاحترام في المشهد الدولي»، فليس وصفاً أكاديمياً، إنما هو الجانب الصحافي في الكاتبة، وهو مطعّم على ما يبدو بالوهم الذي يروجه الغرب عن نفسه.

لا شيء اسمه مشهد دولي بالصورة التي يتم تخيلها من الغرب عن المشهد الدولي. ومصطفى كمال، فهم ذلك باكراً. والكتاب ينطلق من ذلك، مثلما انطلق أتاتورك من واقعيته منذ البداية. ورغم استخدامه الميثاق الوطني كدعوة للتسلح في مواجهة قوى الاحتلال، فإنه لم يسمح بنشوب صراع آخر، آنذاك، في الجنوب الشرقي، عندما انتهت الحرب في الأناضول عام 1922. قبِل هو زملاؤه الصفقة التي حصلوا عليها في لوزان، وانتظروا بتّ مسألة الموصل لاحقاً في عصبة الأمم. موقع تركيا في الصراع على الشرق الأوسط غالباً يبدأ من هنا، والانتفاضة التركية الأولى في 1925 أضعفت موقف تركيا في عصبة الأمم. ومن هنا أيضاً، تبدأ خيوط العلاقة مع الأكراد بالتعقد. لقد ثار الأكراد على الدولة التركية 28 مرة بين 1923 و1938، وقمعت هذه الانتفاضات دائماً بقوة مفرطة (باشاران تقول بسفك دماء غزيرة وإسراف شديد في القتل). ما يلفت الباحثة أن الأكراد لم يثوروا على قومية تركيا، بل على علمنتها أيضاً، وهذه ليست إحدى القراءات القومية للعلاقة، إذ أن إلغاء مصطفى كمال للخلافة، مثّل في لحظة تاريخية اختفاء رابط أساسي بين الأتراك والأكراد.

سنوات طويلة مرّت، يستعرضها الكتاب بهدوء أحياناً، وأحياناً مع ملاحظات وآراء. هذه الملاحظات تبلغ ذروتها عند الوصول إلى مرحلة «الأكراد في تركيا الجديدة». تسأل باشاران: «هل أراد حزب العدالة والتنمية حقاً إيجاد حل للمشكلة الكردية؟» وهي تستخدم مصطلح مشكلة، وليس أزمة، أو علاقة، على غرار المتداول. لكن هذا الاستخدام للكلمة يبدو عادياً عندما تجيب بسرعة على السؤال: نعم ولا. الحقيقة التي تنطلق منها، هي أن العقد الأول من الألفية الثالثة لم يشهد تتريك الأكراد ولا دمجهم. وهذا منطلق في غاية القومية. وقد يفسّر كل تحليلاتها المعادية للعدالة والتنمية كحزب، اضطرت لتفهم المسألة الكردية انطلاقاً من العداء مع إسلامية الحزب، أكثر من تفهم القضية الكردية نفسها. هذا الاستنتاج سيتعزز في الفصل المعنون «حزب العمال الكردستاني يحوز اهتمام العالم»، خاصة عندما تسرد بلغتها الصحافية السلسة والجذابة، حادثة صعودها إلى الشاحنة، في الطريق إلى مرج، حيث سيعقد الحزب الكردي مؤتمره الصحافي. هناك حيث وضعت طاولة بلاستيكية يغطيها علم الحزب، في بقعة مقطوعة الأشجار بلا معالم بين الأشجار. تبقى تحقيقات الباحثة التركية مثيرة للاهتمام، لدرجة أعلى بكثير، من نصائح الصحافيين الغربيين، الذين تستشهد بهم الكاتبة لدعم وجهة نظرها، عن ضرورة السير في مسيرة سلام بين تركيا والأكراد. وعندما نقول «أكراد»، فهذا لا يعني أكراد سوريا أو أكراد تركيا فقط. الأكراد كتلة واحدة، وهذا الاعتقاد ليس تعاطفاً مباشراً فحسب بل مع الطرح الكردي، بل تعززه باشاران بسرد طويل لطبيعة «روج آفا»، التي قامت على تضامن أكراد الخارج، الذي ساعد الأكراد السوريين في تلبية حاجاتهم منذ البداية. إضافة إلى ذلك، تشير إلى أرقام هامة. 40% من استثمارات القمح في سوريا هو من استثمار الأراضي الزراعية في الجزيرة وكوباني، وقبل الأزمة، 60% من نفط النظام كان يأتي من «روج آفا».

الانتفاضة التركية الأولى في 1925 أضعفت موقف تركيا في عصبة الأمم

في نهاية عرضها الطويل، تخلص الباحثة التركية إلى أن الأزمة الكردية صارت مشكلة عالمية. ولكن، كما بيّنت الأحداث، فإن الأمر سيقتصر على بعض الخطابات الغربية المنددة، وعلى تنسيق بين الجيش التركي والنظام في سوريا، حين تكون المصلحة «مشتركة»، ضدّ الصوت التركي. ما هو منصف في كتاب باشاران، رغم جموحها نحو الملاحظة الصحافية، على حساب الدقة الأكاديمية في كثير من الأحيان، هو خلاصاتها التي ما زالت صالحة رغم استفحال الحرب، أي الدعوة إلى السلام.



رواية

# جاسبريت سنغ: خريطة الهند على مائدة طعام

خليل صويلح

يضع الروائي الهندي جاسبريت سنغ (1969) في روايته «الشيف» (دار الرافدين ـ ترجمة سعد جواد محمد عوض) خريطة بلاده فوق مائدة الطعام كحياة موازية، فتفوح على الفور روائح التوابل، وفقاً لجغرافية البلاد الممزّقة بين الهند وباكستان والصراع بينهما على التهام كشمير «ظلّ الجنّة» كوجبة شهية للطرفين، في حروب طويلة، ومآس تنتهي بفجائع مؤلمة. من موقعه كطاهٍ يروي كبرال سنغ وقائع من حياته اليومية في منزل الجنرال كومار، فيستعيد في مونولوج طويل حقبتين من حياته، خلال رحلته الأخيرة في القطار المتوجه إلى كشمير، بعد غياب 14 سنة عن الخدمة، تلبية لرغبة الجنرال بأن يكون هذا الطاهي مشرفاً على الطعام في حفلة زفاف ابنته. ما شجعه على الموافقة أن يساعده الجنرال دخول المستشفى لمعالجته من السرطان. في القطار، تتواتر صور من شبابه أثناء خدمته في الجيش، وذكرياته كطاهٍ متدرّب في مطبخ الجنرال على يد الشيف كيشان الذي انتهى منتحراً، إثر عقوبة عسكرية، وكيف حلّ مكانه بترشيح من الجنرال. ترتبط الروائح والنكهات والشهوات الحسيّة بالتنويعات المذهبية في الهند: هندوس وسيخ ومسلمون. ما هو محرّم هنا، ومحلّل هناك. كاري وزنجبيل وقرفة، أبقار وخنازير وخراف، حروب طائفية، وقصص حب مجهضة بسبب اختلاف الجنسيات والمذاهب. يرمز الجنرال للنساء بالباكستان، وللرجال بالهند كنوع من الرفعة هنا، والانحطاط هناك. حواجز تفصل بين الحدود، ريبة وترّقب وتجسّس، شغف بالهند، ومعجم كراهية للباكستان. هكذا تجتمع الأضداد في رقعة جغرافية واحدة قبل أن تمزّقها الأهواء السياسية. تتناسل الحكايات المثيرة من وراء ستارة المطبخ، حكايةً وراء حكاية، لتضيء فترةً حالكة عاشتها الهند، ذلك أن الطاهي كان شاهداً أكثر منه منحازاً لهذا الطرف أو ذاك. سيقع في حب باكستانية مسلمة أسرها الجنرال بتهمة التجسس، وحين تحبل من أحد الحراس، وبعد إنهاء محكوميتها، تمنع سلطات الحدود الباكستانية إدخالها ابنتها معها بوصفها هندية. وتكاد تنشب حرب طائفية، إثر اختفاء قارورة يقال بأنها تحتوي على شعرات من لحية النبي محمد من أحد المساجد الكشميرية. كما سيعاقب الطاهي كيشان بنقله إلى جزيرة ثلجية قارسة، لمجرد ذكره متفاصحاً عبارة عن عدم طهي الخنازير في الوجبة المخصّصة للخبراء المسلمين الذين أتوا لفحص محتويات القارورة بعد إعادتها للمسجد لإطفاء نار الفتنة، وسوف يطرد العجوز الذي يشرف على حديقة الجنرال بعد أن يفجّر ابنه نفسه بعربة عسكرية خشية على حياة الجنرال، الجنرال الذي ينتحر ليلة عرس ابنته لإصرارها على الزواج من باكستاني. خلطة هائلة من المشهيات والمشكلات والأحلام المحبطة.

على الضفة الأخرى، يرصد جاسبريت سنغ التحولات والعلاقات السياسية والحقبة الاستعمارية التي انعكست آثارها على وصفات الطعام المحليّة «منذ أن تدرّب الشيف في السفارات الأجنبية في دلهي، أصبح إعداد الطعام أحد نقاط قوته. لكنه علّمني أكثر ما يدّمر مقادير تلك الأكلات بقوله: لقد استعمرنا الأجانب طويلاً، وها قد جاء دورنا، سنأخذ طعامهم ونجعل منه طعامنا». تحتشد أقوال الطاهي بمفردات حسيّة تضع الجسد الأنثوي في مرمى الشهوة، كما لو أنه وجبة طعام، فهو جائع على الدوام لنظرة أو ملامسة من أي امرأة يصادفها، وإذا بالجسد يتجاوز بنود الهويات القاتلة لمصلحة الشغف والارتواء، كما سيلجأ كبرال سنغ إلى الاستماع إلى الموسيقى أثناء الطهي، على غرار سلفه كيشان الذي كان مولعاً بالإنصات إلى «السيمفونية التاسعة» لبيتهوفن، وهو ما منح السرد بعداً إيقاعياً وغنائياً، سيجد تمثلاته في أطباق متنوعة: «حقول الخردل تتمايل في الهواء كالجدائل»، و«لن ينسيني طعم المانغو أي نوع من الفاكهة الكشميرية». سرد يستنفر الحواس والغريزة، يمزج الكاري بالشهوة «كان الجنرال ضعيفاً أمام الأكلات الكشميرية، يأكل تلك الصحون ويلحس أصابعه، ويستخدم السكين والشوكة فقط مع الأكلات الإيطالية والفرنسية والإسبانية»، و«إن رائحة المرأة أفضل ألف مرّة من غداء فخم» و«ضغط على يدي كأنها فصوص ثوم».

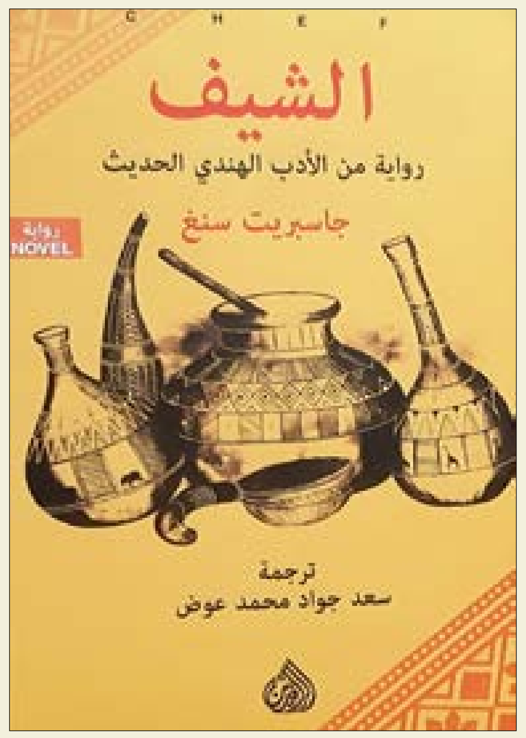


رصد لانعكاسات الحقبة الاستعمارية على وصفات الطعام

النصيحة التي أهداها الشيف كيشان للطاهي الجديد، سوف ترّن في أذنيه طويلاً: «اسمح بإجراء حوار بين أساليبنا والمكونات من بقية العالم، اصنع شيئاً جديداً، لا تتعثر داخل الجنسيات». النصيحة ذاتها سوف يستخدمها جاسبريت سنغ روائياً باستخدامه سرديات تتجاور مع مدوّنات أخرى بإعادة طهوها على نحوٍ آخر مختلف، من دون عثرات أو نتوءات، ربما سيحضر خطفاً مواطنه سلمان رشدي في روايته «أطفال منتصف الليل»، ومواطنته أرونداتي روي في «إله الأشياء الصغيرة»، لكن من موقع مغاير في فحص وقائع الصراع بين الهند والباكستان. فهذه رواية مشاعر وعواطف وألفة في المقام الأول، رواية تشبه شريطاً سينمائياً مطبوعاً على نافذة قطار بجرعة عالية من الذكريات المؤلمة، والترحال نحو أمكنة مشتعلة، لطالما كانت ضحية التعصب العرقي والديني، فيما ينخر الفساد المؤسسة العسكرية التي يقودها جنرالات يعيشون حياة مرفهة على حساب الآخرين في المعسكرين المتحاربين، فكلما مات جندي هنا أو هناك، سيربح هؤلاء ثمن تابوت بصفقات مشبوهة لا تنتهي.

جفاف وفلفل حار وثلج، وفي الخلفية، تلصص على حياة سريّة، تشبه وجبة دسمة من الفضائح والاحتجاجات والأمراض «يبدو الورم لديك كأنه بيضة، ثم يطبخ أحشاء الجسد». هذه استعارة أخيرة في وصف كشمير المريضة تحت مبضع الجراحين.

ديوان

# أديب صعب... شعريّةُ الوضوح

سلمان زين الدين

«حيثُ يَنبُعُ الكلام» (الدار العربية للعلوم ناشرون) هيَ ثالثةُ الأثافيّ التي يضعُ عليها أديب صعب قِدْرَ شعرِه، بعدَ أولى هيَ «أجراسُ اليومِ الثالث»، وثانيةٍ هيَ «مملكتي ليسَتْ منَ هذا العالم». يُعلِنُ، في الأُثفيَّةِ الأولى، تطلّعَهُ إلى قيامةٍ بعدَ الصَّلب، سواءٌ أكانَ المصلوبُ إنساناً أو بلاداً بكاملِها. ويُصَوِّرُ، في الأُثفيَّةِ الثانية، الإنسانَ في قلقِهِ الوجوديِّ وحروبِهِ العبثيَّةِ واغترابِهِ القسري. فما تُراهُ يقولُ في الثالثة؟ وكيفَ يفعلُ ذلك؟ في «أجراسِ اليومِ الثالث»، يُصَدِّرُ صعب أُثفيّتَهُ الأولى بمقتبسَيْنِ اثنَيْنِ يُشكّلانِ مفتاحَيْنِ مناسبَيْنِ للدخولِ إلى مملكتِهِ الشعرية. الأوّلُ من «العهدِ الجديد»، ويتعلّقُ بالمضمون، وقدْ جاءَ فيه: «ورأيْتُ سماءً جديدةً وأرضاً جديدة، لأنّ السماءَ الأولى والأرضَ الأولى مَضَتا»، ما يعني أنّ هاجسَ الشاعرِ هوَ البحثُ عن أرضٍ شعريَّةٍ جديدةٍ يفتتحُها، وسماءٍ جديدة يُحلّقُ فيها. الثاني من الشاعر ت. س. إليوت، ويتعلّقُ بالشكلِ والمضمونِ معاً:

A condition of complete simplicity costing not less than everything

مؤكّداً أهميةَ البساطةِ التامّةِ في الذاتِ كما في النصِّ الشعري. وهيَ بساطةٌ – كما في تعبيرِ إليوت – يدفعُ صاحبُها «ليسَ أقلَّ منْ كلِّ شيء» للحصولِ عليها. وبرأيي، إنَّ هذَيْنِ المفتاحَيْنِ يَصلُحانِ للدخولِ إلى الأُثفيّةِ الثالثة، التي نحتفي بها لجمعِها بينَ بساطةِ الكلمةِ وجدّةِ المعنى.

تشتملُ المجموعةُ على 95 قصيدة، كُتِبَتْ، في معظمِها، منذُ ثمانينياتِ القرنِ الماضي، باستثناءِ قصائدِ القسمِ الأخيرِ «من دفترِ الطفولة» التي كتبَها صاحبُها وهوَ دونَ العشرين. تتوزّعُ القصائدُ على محاورَ، هيَ: الشعرُ، الطبيعةُ في عرسِها الربيعي، الحبُّ، الإنسانُ في حروبِهِ العبثيَّةِ واغترابِهِ الوجودي، والفردُ في تجربتِهِ الروحيَّةِ وأسئلتِهِ الكبرى. وغنيٌّ عنِ التعبيرِ ما بينَ هذهِ المحاورِ، كُلِّها أو جُلِّها، منْ تواشج؛ فالشعرُ ربيعُ الكلام، والربيعُ شعرُ الطبيعة، والحبُّ محرّكُ الشعر، والاغترابُ الوجوديُّ قَدَرُ الشعراء. لكنَّ تجربةَ الشاعرِ الصوفيةَ هيَ التي توحّدُ هذهِ المحاورَ كلَّها.

يتّخذُ أديب صعب من الشعرِ محوراً لبعضِ القصائد، وموضوعاً يتناولُهُ في ثمانٍ منْها. فنراهُ أداةَ اللهِ لكشفِ الفتنةِ والجمال، وطريقةَ الشاعرِ الإنسانِ في معاينةِ الوجودِ ورؤيةِ الوجهِ الآخرِ للكون، ووسيلةً للحب. وهوَ خريطةُ طريقٍ إلى النور: «حينَ يمدُّ الدجى خيوطَه/ ويَرجمُ النورَ بالرُّكام/ أتركُ شعري لكُمْ خريطه/ سفينةً تَعبرُ الظلام» (ص 17). ويماهي بينَ الشعرِ والصلاةِ بقوله: «وما الشعرُ إنْ لم يكنْ صَلَواتٍ/ وما الصَلَوات/ غيرَ شعرٍ يَفيضُ منَ القلب/ يَرسمُ وجهَ الحياةْ» (ص 23)، محوّلاً إيّاهُ من لغةٍ دنيويةٍ إلى طقسٍ ديني، ومن نشاطٍ بشريٍّ إلى جسرٍ إلهي.

الموضوعُ الثاني الذي يتمحورُ حولَهُ عددٌ منَ القصائدِ هوَ الربيعُ وتجلياتُهُ في العناصرِ والمخلوقاتِ والموجودات؛ ويرتقي بهِ الشاعرُ من حَدَثٍ طبيعيٍّ إلى رمزٍ شعريٍّ يشي بتجدّدِ الحياة. ويصفُهُ بأنّهُ صباحُ الدروب، ووجهُ البكاء، وترجمانُ الشتاء، وخيمةُ الطبيعة. ويُماهي بينَهُ وبينَ الشعرِ في قولِهِ: «إذا قُتِلَ الشعرُ ماتَ الربيعُ» (ص 65). ويرصدُ علاقةً جدليةً بينَ الشعرِ والربيع، فتَبتكرُ القصائدُ أبجديّةَ الربيع، وتغدو الزهرةُ قصيدة، والوزنُ برعماً، والقافيةُ شذا: «ونظرْتُ، كانَ كلُّ شيء/ حولَنا قصائدَ اختبأنَ في سرير/ يبتكرنَ أبجديةَ الربيع/ كلُّ زهرةٍ قصيده/ وزنُها براعمُ الضحى الجديدة/ والقوافي شذاها» (ص 30). وهكذا، ينتقلُ صعب، في هذا المحور، منَ الإنسانِ شاعرِ الكلماتِ إلى اللهِ شاعرِ الطبيعة، ومنْ ربيعِ الكلامِ إلى قصيدةِ الربيع. هوَ حبُّ الجمالِ اللغويِّ أو الطبيعي، البشريِّ أو الإلهي، يحرّكُ شاعريّتَهُ ويُنتِجُ أجملَ الكلام. فليسَ ثمّةَ إبداعُ بدونِ حب.

ولا يقتصرُ حبُّ الشاعرِ على الشعرِ والطبيعةِ بلْ يتعدّاهُما إلى الإنسانِ/ المرأة، فيتمحورُ قسمٌ من قصائدِهِ حولَ الحب، يتناولُهُ مداورةً، من خلالِ وصفِ الحبيبة، أكثرَ ممّا يفعلُ مباشرةً، بوصفِ الحبِّ نفسِهِ. وهوَ في وصفِها يجمعُ بينَ التاريخيِّ/ الأسطوريِّ والحضاري/ الواقعي في القصيدةِ نفسِها، فتكونُ الحبيبةُ سفينةَ نوح، في بدايةِ القصيدة، وتصبحُ قوسَ نصرِ المدينة، في نهايتِها: «نوحُ أنا/ وجئْتِني سفينه/ نعبُرُ هذا العصرْ... / إلى مدى أصبحُ فيهِ/ النهرَ والمدينة/ وأنتِ قوسَ النصرْ» (ص 91).

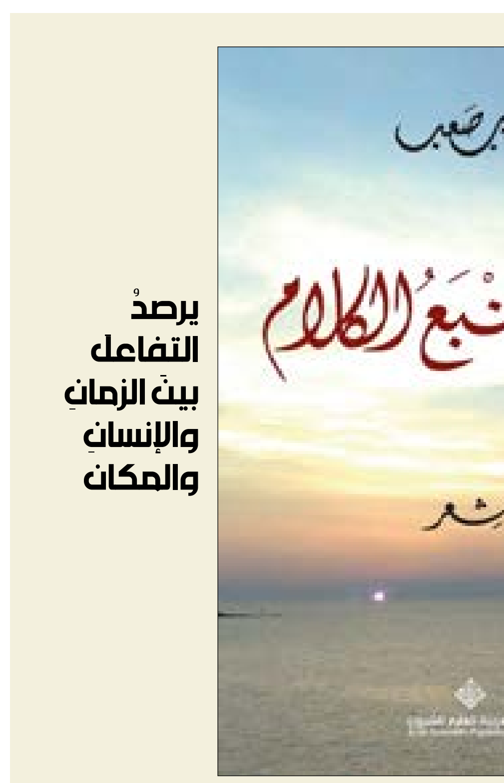


يرصدُ التفاعل بينَ الزمانِ والإنسانِ والمكان

وإذا كانَ تَمحوُرُ القصائدِ حولَ المحاورِ الثلاثةِ المذكورةِ آنفاً ناجماً عن مطاردةِ الشاعرِ الجمالَ في الكلمةِ والطبيعةِ والمرأة، ففي المجموعةِ قصائدُ أخرى تتمحورُ حولَ الإنسانِ في اغترابِهِ الوجوديِّ وأسئلتِهِ الكبرى، وهذا التمحورُ ناجمٌ عن تأمّلِ الشاعرِ في أحوالِ الإنسانِ والكونِ، وهوَ الآتي من خلفيَّتَيْنِ ثقافيَّتَيْنِ تُعنيانِ بهذهِ الأحوالِ هما: الفلسفةُ والدين. فيتناولُ وصولَ الإنسانِ إلى حائطٍ مسدود، في بحثِهِ عن الماءِ بما هوَ رمزٌ شعريٌّ للخلاص: «حاملينَ البؤسَ نَمضي/ نحوَ أبوابِ الرجاء/ ونُصلّي، ونُصلّي للمطرْ... / غيرَ أنّ الشمسَ تَسْوَدُّ/ ولا تَدْمَعُ عينٌ للسماءْ/ ثمّ تنهالُ علينا/ سُحُبٌ راعدةٌ من غيرِ ماءْ» (ص 47). ويرصدُ التفاعلَ بينَ الزمانِ والإنسانِ والمكان، مستنتجاً عجزَ الإنسانِ في مواجهةِ الأقنومَيْنِ الآخرَيْنِ، فيدورُ بهِ الزمانُ ليُلقيَ بهِ في الحُفَر: «ودارَ بنا الزمانُ دورةً/ فلم يبقَ في الدربِ إلّا الحفَرْ» (ص 53). وفي مواجهةِ هذا الاغترابِ النفسيِّ والزمانيِّ والمكانيِّ، يلوذُ الإنسانُ بالطبيعة: «افتحي ذراعَكِ القويَّةَ، احضنيني/ أيُّها الجبالُ/ وانثري البخورَ فوقَ ناري» (ص 75). وأخيراً يجدُ الينبوع: «خذْني/ حيثُ يَنْبُعُ الكلامُ من عيونٍ/ حيثُ يُزهرُ الكلامُ في الشجرْ/ خذْني/ فلقدْ سئمْتُ لغوَهُمْ/ أولئكَ البشرْ» (ص 86). وعليهِ، فإنّ أديب صعب ينطلقُ، في شعرِهِ، منَ الوقائعِ الصغيرةِ إلى الأسئلةِ الكبرى، ومنَ المحدودِ إلى اللامحدود، ومنَ النسبيِّ إلى المطلقِ، وهذا ما يمنحُ شعرَهُ الجِدَّةَ والعمق.

أوراق

# عبدة أسبذ

زكريا محمد *

حدثتنا المصادر العربية عن جماعة من سكان البحرين في بداية الإسلام تدعى «الأسبذيين». ويفترض أن الرسول كتب عهداً لواحد من زعماء هؤلاء في «هجر» يدعى المنذر بن ساوي. وقد اختلف بشدة حول أصل اسم الأسبذيين هذا. وهناك فرضيات عدة بشأنه. وخذ ما جمعه ابن الأثير المحدّث عن هذه المسألة: «أسبذُ قرية بالبحرين وصاحبها المنذر بن سَاوي. وقد اختُلف في الأسبذيين من بني تميم لم سُموا بذلك. قال هشام بن محمد بن السائب: هم ولد عبد الله زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. قال: وقيل لهم «الأسبذيون» لأنهم كانوا يعبدون فرَساً. قلت أنا: الفرس بالفارسية اسمه أسب زادوا فيه ذالاً تعريباً. وقيل كانوا يسكنون مدينة يقال لها «أسبذ» بُعمان فنُسبوا إليها. وقال الهيثم بن عدي إنما قيل لهم «الأسبذيون» أي: الجمّاع، وهم من بني عبد الله بن دارم منهم المنذر بن ساوى صاحب هَجَرَ الذي كاتبه رسول الله» (ابن الأثير المحدث، النهاية في غريب الحديث والأثر).

أما الشيباني، فيرى أن الاسم نسبة لملك فارسي: «قال أبو عمر الشيباني في فسر ذلك: أسبذ: اسم ملك كان من الفرس، ملّكه كسرى على البحرين فاستعبدهم وأذلهم وإنما اسمه بالفارسية أسبيدوَيه، يريد الأبيض الوجه... فنسب العرب أهل البحرين إلى هذا الملك على جهة الذم» (ابن الأثير المحدث، النهاية في غريب الحديث والأثر). أما ابن الأثير فيرى شخصياً، أو ينقل عن آخرين، أنهم: «قومٌ من المَجوس لهم ذكْرٌ في حديث الجِزْية. قيل: كانُوا مَسْلَحَةً لحصن المُشقَّر من أرْض البَحْرين الواحدُ أسْبِذيّ والجمع الأسَابِذَة» (ابن الأثير المحدث، النهاية في غريب الحديث والأثر).

بذا، فهُم قد سموا باسمهم:

1- نسبة إلى قرية أو مدينة بالبحرين، أو بعمان.

2- أو لأنهم كان يعبدون فرساً

3- أو لأن اسمهم «جمّاع»، أو أنه يمكن وضع إشارة مساواة بين الأسبذيين والجمّاع، لكن من دون أن ندري معنى الجمّاع هذا.

4- أو أنهم سموا، تشهيراً، باسم ملك فارسي يدعى أسبيدويه.

5- أو أنهم كانوا طائفة مجوسية بهذا الاسم.

أما الدكتور جواد علي، فينفي أن يكون الأسبذيون فرقة دينية على علاقة بالمجوس، ويرى أن الأسبذية رتبة عسكرية فارسية: «ولا صلة لهذه الأسبذية بالمجوسية، أو إلى أي ديانة دخلت من فارس إلى البحرين. وقد تحدثت في مكان آخر عن وجود قوم من العرب قدسوا «الحصان». ورأيي أن المراد من «الأسبذية» الفرسان. وأن المنذر بن ساوى كان «أسبذاً» أي بدرجة فارس، وهي من درجة الشرف والرفعة في الجيش الساساني» (جواد علي، المفصل).

ويخيل لي أن ربط هذه الجماعة بفارس، على أي وجه كان، ربما نبع من واحد من أمرين، أو منهما معاً: الأول: حصول خلط بين «أسبذية» وكلمة «إصبهذية» الفارسية التي تعني منطقة عسكرية، على رأسها عسكري يحمل رتبة إصبهذ. هذا الخلط أدى إلى ربط هؤلاء الناس بالفرس كما رأينا عند الدكتور جواد علي في المفصل.

الثاني: وبما أن أمر هذه المجموعة كانت تعبد إلهاً يبدو أن الفَرَس- الحصان رمزه وحيوانه، فمن المحتمل أنه جرى خلط ما بين الفَرَس والفُرْس، وهو ما أدى إلى ربطهم بالفرس بشكل ما.

أما أنا، فأميل إلى تصديق ربط هشام بن السائب الكلبي الأسبذيين بعبادة فرس ما: «وقيل لهم «الأسبذيون» لأنهم كانوا يعبدون فرَساً». ويبدو لي أن هذا الفرس كان يدعى بالأسبذ، أو يوصف بأنه الأسبذ. وبما أن هذا الفرس حيوان إله ما، فلا بد من أن هذا الإله دُعي بالأسبذ. الفرس يدعى أسبذ لأن الإله الذي يمثله أسبذ. بذا أظن الأسبذيين دُعوا باسمهم نسبة لهذا الإله الذي كان معبودهم. ويؤيد شعر لطرفة بن العبد في هجاء عمرو بن هند وجود مثل هذا الإله في ما أعتقد:

خذوا حذركم أهل المَشَقّر والصفا
عبيد أسبذ والقرضُ يُجزي من القرض
ستُصبحك الغُلباءُ تغلِبَ غارةً
هنالك لا يُنجيك عَرض من العرض

ونجد تعبير «عبيد أسبذ» مروياً بالدال أحياناً (عبيد أسبد). ولست أدري إن كان تصحيفاً أو للاسم صيغتان. ولا أستبعد أن الاسم كان يُنطق بالصيغتين، وحسب المناطق. على أي حال، فتعبير «عبيد أسبذ» يوحي بقوة بوجود إله يدعى «أسبذ» كان يعبد عند أهل حصن المشقّر في البحرين. صحيح أن الشاعر استخدم كلمة «عبيد» بدل كلمة «عباد»، مما قد يوحي بالعبودية والتبعية وشوّش قليلاً على وجود هذا الإله، الأمر الذي جعلنا نصل إلى الحاكم الفارسي المزعوم «أسبيدويه». لكن يبدو أن هذا الإله كان بالفعل موجوداً. فقد عثرت على نقش في المسند نشره شخص يمني في موقع لبيع للقى الأثرية يبدو أنه يذكر هذا الإله. النقش في أسفل تمثال نذري لرجل وامرأة، أو لإله وإلهة:

وكما نرى فالنقش واضح تماماً. لكن المشكلة تكمن في الحرف الرابع من اليمين. فهو يشبه حرف الكاف وحرف الهاء في الخط المسند. ولو تجاهلنا عقفتي حرفي الألف والخاء، فإنه قريب منهما أيضاً. وقد بدا لي أن هناك بقايا لعقفة هذه الألف، وأنه يمكن رؤيتها، وهو ما شجعني على قراءة الحرف ألفاً.

وإذا صح هذا، فالنقش يقرأ هكذا: ف ت ل أ س ب ذ. وقد قطعته هكذا: «فت لـ أسبذ». وبناء على هذه القراءة، فالتمثال النذري قدم للإله أسبذ وقدم معه ما يسمى «فت». ويصعب أن يكون هذا النقش مزوراً، فلا أحد يذكر لنا إلهاً باسم أسبذ في اليمن كي يزوّر أحدهم نقشاً باسمه. بذا فأنا ميال بشدة إلى أنه نقش أصيل.

على أي حال، لم أعثر على كلمة «فت» في قواميس العربية الجنوبية. لذا، فنحن مضطرون للاستناد إلى القواميس العربية للتكهن بمعنى هذه الكلمة. والفتّ في هذه القواميس يعطي عموماً معنى الكسر والدق والتفتيت، ومنه الفتيت، أي الخبز المقطع المفتت. كما أن الفتّة: الكتلة من التمر. كذلك، فإن الفت نبات بري يؤخذ حبه ويطحن ويصنع منه خبز غليظ يؤكل في المجاعات. قال الراجز: الأبيضان أبردا عظامي/ الماء والفتُّ بلا إدام. فهل كانت تقدمة الرجل حبوب الفت، أم كانت تمراً، أم فتيتاً؟ نحن لا ندري. لكن حبوب الفت قد تتوافق مع فكرة أن هذا الإله يتمثل بحصان. بذا يكون الرجل قدم فتّاً كعلف لحصان الإله.

## عباد سبد

وكان لدينا في «الحيرة» في جنوب العراق، التي كانت دوماً مرتبطة بشرق الجزيرة العربية وبالبحرين خاصة، إله يدعى «سبد». وكان عباده يدعون بـ «العباد». وهناك من يعتقد أن العباديين العراقيين حالياً من نسلهم. لكن هناك من رأى أن اسمهم على علاقة بعبادة الإله سبد هذا استناداً إلى شعر شهير: «وقيل بل كانوا يعبدون صنماً لهم يقال له سبد فقيل لهم عباد سبد، ولزمهم هذا الاسم. قال رجل من بني ربي من نمارة من لخم جنى جناية في قومه فخلعوه فلجأ إلى الحيرة: أرى سيفي نفاني من دياري/ وألجأني إلى سبل المخافة/ وألحقني العباد عباد سبد/ بلا نسب هناك ولا صرافة (أبو البقاء الحلي، المناقب اليزيدية في أخبار الملوك الأزدية)

إذن، فثمة إله يدعى «سبد» كان (العباد) يعبدونه. وحسب المصادر العربية، فقد كان العباد خليطاً من قبائل شتى. وقول الشاعر يؤيد. فقد ألحقه العباد بأنفسهم بهم من دون أن يكون منهم في الأصل. والاسم «الجمّاع» الذي أطلق على الأسبذيين ربما كان آتياً من أنهم هم أيضاً ليسوا من قبيلة واحدة، أي أنهم مجموعة «مجمّعة» من قبائل عدة مثلهم مثل العباد أو العباديين. ويتساءل المرء إن كان «سبد» هذا هو «أسبذ» ذاته، وأننا مع صيغتين عراقية وبحرانية للإله ذاته. الأولى تبدو مصدراً والثانية فعل تفضيل، في حين أن الذال قلبت دالاً في الحيرة. وإذا صح هذا، فنحن مع إله كانت عبادته واسعة الانتشار تشمل أجزاء من اليمن إضافة إلى البحرين وجنوب العرق.

على أي حال، فالتسبيد في اللغة هو غسل الشعر بالماء: «قال أبو عبيد: سألت أبا عبيدة عن التسبيد فقال: هو ترك التدهن وغسل الرأس» (لسان العرب). يؤيد هذا أن هناك طائراً يدعى السُّبَدُ سمي بذلك لتبلل ريشه بالماء: «والسُّبَدُ طائر إذا قَطَرَ على ظهره قطرة من ماء جَرى؛ وقيل: هو طائر لين الريش إذا قطر الماء على ظهره جرى من فوقه لليّنه. قال الراجز: أَكُلَّ يوم عرشُها مَقِيلي، حتى ترى المِئْزَرَ ذا الفُضولِ، مِثلَ جناح السُّبَدِ الغسيلِ» (لسان العرب).

أكثر من ذلك واهم أن «العرب تسمي الفرس به إذا عرق» باسم السبد (لسان العرب). بذا يمكن الافتراض أن الفرس المعبود كان فرساً متعرقاً. وهذا ينقلنا إلى الأخبار عن عبادة بعض العرب لخيل متعرّقة. ففي الحديث النبوي: «إنه [الله] خلق خيلاً، فأجراها، فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق، تعالى الله عن فرية المفترين وإلحاد الملحدين» (ابن تيمية، درء التعارض). ابن تيمية يرفض الحديث بشكل قاطع بالطبع، وقد يكون الحديث منسوباً إلى الرسول افتراء بالفعل. لكن هذا لا يمنع أنه ينقل تقليداً جاهلياً أصيلاً عن عبادة فرس متعرّق. بذا، فالأحاديث التي توصف بأنها «موضوعة» قد تكون شديدة الفائدة بخصوص معرفة معتقدات الجاهلية. يؤيد فكرة الفرس المتعرّق أن فرس «النعمان بن المنذر»، الذي أعتقد شخصياً أنه كائن إلهي، كان يسمى باليحموم. واليحموم قد تعني: المتعرّق: «قال ابن سيده: وتسميته باليحموم تحتمل وجهين: إما أن يكون من الحميم الذي هو العرق، وإما أن يكون من السواد كما سميت فرس أخرى حممة» (لسان العرب). ومن المحتمل أننا في الحقيقة مع فرس أسود متعرق في الحقيقة.

بناء عليه، ربما كان الأسبذ والسبد فرساً متعرقاً يمثل إلهاً شتوياً ما. وهذا الفرس- الإله هو أصل تسمية الأسبذيين باسمهم. لقد كانوا من عبّاده. أما نقش المسند اليمني، فقد جاء في ما يبدو بالدليل القاطع على وجود هذا الفرس/ الإله، مضيئاً لنا نقطة معتمة من ديانة العرب قبل الإسلام.

* شاعر فلسطيني

صورة لرسالة الرسول إلى المنذر بن ساوي